الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د/ مولاي الطاهر – سعيدة –

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

# الصراع العثماني الإسباني في الحوض الغربي للمتوسط

## خلال القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر


إعداد الطالب:

- مخطاري عبد المؤمن

بإشراف الأستاذة:

شباب عبد الكريم


لجنة المناقشة

1-

2-

3-

الموسم الجامعي

(1434-1433هـ)

(2013-2012م)

**إهداء**

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدي و كل إخوتي و إلى أستاذي المشرف المحترم ، و إلى كل من قدم لي العون من قريب أو بعيد و إلى كل هؤلاء اهدي هذا العمل المتواضع .

**شكر و تقدير**

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأستاذ شباب عبد الكريم على قبوله الإشراف علي من أجل انجاز هذا العمل ، وعلى المساعدة الكبيرة التي قدمها لي من توجيهات القيمة ونصائحه ثمينة وعلى تصحيحه لي الأخطاء

**المختصرات :**

**القسم العربي :**

| الرمز | المعنى |
|---|---|
| ص | صفحة |
| ص ص | صفحات عديدة متلاحقة |
| ط | طبعة |
| ج | جزء |
| د.ت | دون تاريخ |

**القسم الأجنبي**

| | |
|---|---|
| Page | P |
| Pages contenues | PP |
| Tome | T |

| | |
|---|---|
| Revue africaine | RA |
| Numéro | N° |

**المقدمة :**

شـهدت منطقـة الحـوض الغربـي للبحـر المتوسـط خـلال القـرن العاشـر الهجـري/ السادس عشر الميلادي ومطلع القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي تطورات عديدة وتغيرات هامة جعلني اختارها كموضوع بحث مذكرتي لنيل شهادة الماستر، تحت عنـوان الصـراع العثمـاني الاسـباني فـي الحـوض الغربـي للمتوسـط خـلال القـرن العاشـر الهجري/ السادس عشر ميلادي ومطلع القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي .

تمثل هذه المرحلة التاريخية جزءا هاما من تلك التحولات، إن لم نقل محوريا فقد شكلت العلاقات بين الدولة العثمانية واسبانيا في الحوض الغربي المتوسط مرحلة هامة و رئيسية من تاريخ العلاقات بين البلدين، حيث وصف القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر، بقرن الصراع الإسلامي مع اسبانيا الكاثوليكية في حوض المتوسط، خاصة الجزء الغربي منه.

لقد تميزت العلاقات بين الدولتين خلال القرن السادس عشر و مطلع القرن السابع عشر ميلادي ظهور اسبانيا كإمبراطورية قوية بعد استكمال وحدتها السياسية وشنها الحـرب ضـد المسـلمين، خاصـة بلـدان المغـرب الإسـلامي شـجعتها فـي ذلـك الكنيسـة الكاثوليكية الحاقدة على الإسلام والمسلمين تحركها دوافع مختلفة، ما أدى إلى وقوع العديد من الموانئ المغربية تحت الهيمنة الاسبانية مع مطلع القرن السادس عشر، ما أدى إلى تدخل العثمانيين في المنطقة .

و الحقيقة أن دواعي احتياري لهذا الموضوع عديدة منها:

1- إن موضوع الصراع بين الدولة العثمانية واسبانيا في غرب المتوسط خلال القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، ومطلع القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي مهم بما تميزت به تلك العلاقات من تطورات و تشابك بين دول الحوض الغربي للمتوسط.

2- إن معظم الدراسات والأبحاث المتوفرة اليوم تفتقر إلى الشمولية فهي في الغالب علاقة بين بلد من بلدان الضفة الجنوبية لغرب المتوسط مع اسبانيا ، لذلك أردت إثراء الموضوع بدراسة تشمل علاقة الدولة العثمانية و توابعها في المنطقة باسبانيا .

إن الأستاذ المشرف هو الذي اقترح علي هذا الموضوع ، بعدما كنت مترددا وفي حيرة من أمري لأنني وجدت فيه تميزا و موضوعا جديرا بالبحث .

**الهدف من الدراسة :**

إن الهدف من هذه الدراسة هو الخوض في تفاصيل العلاقات بين الدولة العثمانية واسبانيا في غرب المتوسط خلال القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، ومطلع القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي التي تمثل مرحلة هامة بالنسبة لتاريخ البلدين وخاصة بلدان المنطقة على العموم، بغية الكشف عن خبايا تلك العلاقات، لعلي بذلك أقدم عملا مفيدا، لمن يجهل الكثير عن تفاصيل ذلك الصراع.

**الإطار الزماني و المكاني للدراسة:**

و قد اخترت القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي و مطلع القرن الحادي عشر هجري / السابع عشر ميلادي موضوع دراستي هذه، نظرا لأهمية هذه الفترة في تاريخ البلدين، أما الإطار المكاني فقد اخترت جزءا من هذا حوض المتوسط يمثل مركزين من الضفتين أثرا في العلاقات بين البلدين، إمبراطورية اسبانيا المسيحية وبلدان المغرب الإسلامي التي انطوت تحت لواء الخلافة العثمانية .

**الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة :**

تتعلق بالظروف والأوضاع التي تحكمت في الصراع بين القوتين في غرب المتوسط خلال القرن 10هـ و16 م، و مطلع القرن 11هـ /17م ؟ و مظاهر ذلك الصراع و بماذا تميزت ؟ والطابع الذي غلب عليها، أهو الحرب أم السلم؟ و ما آثارها وانعكاساتها على الطرفين و على منطقة الحوض الغربي للمتوسط؟

**الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع المقترح بحثه:**

للإشارة أن هناك مصادر إسبانية تعرضت إلى العلاقات في الفترة موضوع البحث، كما فعل مارمول و فيرناند بروديل لكن أغلب الدراسات تتمحور حول علاقة بلدان المغرب الإسلامي مع إسبانيا كل واحدة على حدا ، كما فعل وولف في كتابه "الجزائر وأوروبا" و يحي بوعزيز "علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك أوروبا" وهذا ما ينطبق على الكتابات في باقي بلدان منطقة الحوض الغربي للمتوسط وخصوصا بلدان المغرب الإسلامي.

لذلك حاولت الاستعانة بالمعلومات الهامة و القيمة التي تحويها هذه الدراسات .

**المنهج المتبع في الدراسة :**

لقد التزمت بالمنهج التاريخي الوصفي التركيبي ، باعتباره منهجا صالحا لوصف الأحداث والحقائق التاريخية، وتحليلها تحليلا تاريخيا علميا وموضوعيا ، بعيدا عن الذاتية و الأحكام الفردية اعتمادا على قراءة جادة للمصادر و المراجع المختلفة .

**الخطة المعتمدة في الدراسة :**

قسمت هذه الدراسة إلى مدخل و ثلاثة فصول، فكانت الخطة على النحو التالي:

**المدخل** : تناولت فيه الظروف والأوضاع التي جعلت كل من الدولة العثمانية وإسبانيا يتحولان من إمارتين لا نفوذ لهما إلى إمبراطوريتين توسعيتين .

**الفصل الأول عنوانه** : الخارطة السياسية لشمال و جنوب غرب المتوسط في مطلع القرن 10هـ /16 م و قد قسمته إلى مبحثين على التوالي :

**المبحث الأول** : تناولت فيه الوضع السياسي الذي يميز دول شمال غرب المتوسط والتي كان لها دور رئيسي و فاعل في الصراع ، و هذه القوى هي كل من إسبانيا التي أفردتها بالأهمية وطرفا أساسيا في الصراع و البرتغال ثم فرنسا كطرف آخر يساهم في إحداث نوع من التوازن في العلاقات بين ضفتي المتوسط ، إضافة إلى الدويلات الايطالية واختصرتها على البندقية و جنوة نظرا لدورهما في الصراع .

**المبحث الثاني** : خصصته إلى الوضع السياسي الذي ميز دول جنوب غرب المتوسط خلال القرن 10هـ/16 م، و نقصد بها هنا القوى الإسلامية في المغرب الإسلامي التي كانت تعاني من الضعف و التجزؤ وعدم الاستقرار السياسي، هذه المنطقة ستكون محورا أساسيا في الصراع .

**أما الفصل الثاني عنوانه** : دوافع و مظاهر الصراع العثماني الاسباني في الحوض الغربي للمتوسط خلال القرن 10هـ/16 م و مطلع القرن 11هـ/17م و قد قسمته إلى ثلاثة مباحث على التوالي :

**المبحث الأول** : تناولت فيه دوافع الصراع العثماني الاسباني في منطقة غرب المتوسط وفي مطلع القرن 16م، وقد قسمتها على حسب أهمية الدوافع الدينية والسياسية من جهة واقتصادية وعسكرية وإستراتجية من جهة أخرى.

**أما المبحث الثاني** : تناولت فيه وقوع مدن و موانئ المغرب الإسلامي تحت سيطرة الأسبان في مطلع القرن 10هـ/16 م بداية من الجزائر وطرابلس الغرب وتونس، ثم ظهور الإخوة بربروس على الساحة في بلاد المغرب بعد توالي الهجمات الاسبانية .

**المبحث الثالث** : تناولت فيه دورالعثمانيين وجهودهم في الحد من الخطر الاسباني في كل من الجزائر و تونس و طرابلس الغرب، و دور الدولة العثمانية في دعم المورسكيين في إسبانيا خلال القرن 10هـ/16 م و مطلع القرن 11هـ/17 م .

**أما الفصل الثالث عنوانه** : انعكاسات الصراع على الدولتين في منطقة الحوض الغربي المتوسط.

و قد قسمته إلى مبحثين على التوالي :

**المبحث الأول** : انعكاسات على على الدولة العثمانية ، و وضع العثمانيين في منطقة المغرب الإسلامي و توطيدهم وتدعيمهم لنفوذهم في المنطقة والقضاء على الوجود الاسباني في المغرب الإسلامي، ما عدا مدينة وهران الذي تواصل الصراع حولها، ثم فشل العثمانيين ضم المغرب الأقصى .

**المبحث الثاني** : تناولت فيه انعكاسات الصراع على إسبانيا من حيث فشل الأسبان في الاحتفاظ بنفوذهم في المنطقة ، بالإضافة إلى بروز قوى أوربية منافسة لاسبانيا في المنطقة على غرار فرنسا و انجلترا .

**نقد أهم المصادر و المراجع :**

و من بين المصادر التي ساعدتني كثير في هذه الدراسة :

**كتاب "المنهل العذب"** : لمؤلفه أحمد بك الأنصاري و "التذكار" للابن غليون الطرابلسي فهي من الكتب الهامة في تاريخ طرابلس الغرب، و تتعرض العلاقات مع الدول الأوربية لكن المشكل الذي يصادف الباحث في استخدام لهذه المصادر أنها لا تتبع منهجا علميا واضحا، والخط أحيانا غير واضح أو غير مفهوم، كما أنها لا تتبع التسلسل المنطقي للأحداث التاريخية رغم أنها تكون على قدر كبير من الأهمية .

أما بالنسبة للمصادر الأجنبية المعربة فقد اعتمدت على :

1- **كتاب "وصف إفريقيا"**: للحسن بن محمد الوزان يعتبر من المصادر الهامة خاصة في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، و هو يؤرخ لكل بلدان المغرب الإسلامي، كما يتطرق بالوصف لكل مناطقها التي زارها المؤلف و الكتاب في جزأين.

2- **كتاب "إفريقيا"**: لمارمول كاربخال رغم أن صاحبه نقل كثير من المعلومات عن الوزان إلا أن هذا الكتاب يعتبر مصدرا هاما للقرن السادس عشر، خاصة الحملات الاسبانية على السواحل المغربية، لكن المشكلة في المصدرين أنهما يعبران عن وجهة

نظر الطرف الاسباني بكل وضوح لأنه يكتسب خلفية المستعمر، لكن رغم ذلك لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة العلاقات مع اسبانيا و للكتاب ثلاثة أجزاء.

أما فيما يخص" المصادر الأجنبية:

**1- كتاب "ملوك الجزائر" لهايدو :**

فلا يمكن العمل بدونه خاصة فيما يتعلق بالفصل الثاني، و أيضا لا يمكن إهمالها لأنها تحوي منشورات هامة عن الفترة الحديثة والمتعلقة بعلاقات بلدان المغرب الإسلامي بإسبانيا، خاصة الجزائر و تونس.

أما بالنسبة للمراجع فقد اعتمدت على مراجع عديدة لكن سأذكر بعض منها :

**كتاب "الجزائر وأوروبا"** لجون وولف: رغم ميوله الشديد اتجاه اسبانيا على حساب الجزائر و طرابلس لكنه يبقى من المراجع الهامة جدا .

- **كتاب "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا ( 1492-1792) "لأحمد توفيق المدني:** هو كتاب في غاية الأهمية نظرا لتناوله الصراع بين الجزائر واسبانيا على مدار ثلاثة قرون.

أما المراجع باللغة الأجنبية فقد استفدت كثيرا من كتاب دوقرامون و كتاب مرسيي، رغم صعوبة اللغة إلا أن كلا المرجعين يمنحان دقة التفاصيل للأحداث .

**أما عن الصعوبات التي واجهتني :**

إن أي عمل جاد لا يمكن أن يخلوا من صعوبات وعراقيل خاصة إذ كان صاحبها يريد الخروج بنتائج موضوعية ،و رغم أن موضوع الدراسة شامل و عام و القارئ للعنوان للوهلة الأولى يظن أنه سهل، و أن مادته العلمية متوفرة، لكن الحقيقة غير ذلك لكن عند تعمقي في الموضوع وجدت عدة صعوبات من أهمها :

1- عدم وجود دراسات متخصصة في العلاقات العثمانية الاسبانية، و بالرغم من توفر المصادر والمراجع الخاصة بالدولتين، إلا أنها تتحدث على التاريخ العام لهذه القوتين .

2- صادفت مشكلة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية، ومشكلة عدم التفرغ وعدم وجود وقت كاف، خاصة إذا كان الباحث مفروض عليه العمل المحتم ولا يمكنه ترك عمله، لأنه مجبر فهو لا يملك مدخولا غيره خاصة إذا كان مثل حالتي يعمل أستاذ ثانويا، وهو مسؤول بالدرجة الأولى عن إكمال البرنامج ومراقب ومحاسب من طرف المدير و المفتش .

فقد حاولت مع عزيمتي في العمل على أن أتكيف مع هذا الواقع ، حيث اكتفيت بجمع عدد معقول من المادة العلمية بعد زيارة كل من جامعات تلمسان ووهران وسيدي بلعباس .

إن موضوع الصراع العثماني الاسباني خلال القرن 10هـ/16 م و مطلع القرن 11هـ/17 م في غرب المتوسط يعتبر من المراحل الهامة في تاريخ منطقة حوض المتوسط والجزء الغربي منه، خصوصا أن تلك المرحلة تاريخية و الظروف التي توفرت خلال القرن 10هـ /16 م بالخصوص فرضت ذلك النوع من الاحتكاك بين منهجين حضاريين مختلفين ، و في الأخير لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف على نصائحه الثمينة والقيمة وأفكاره النيرة، أشكر أستاذي على صبره وتواضعه معي.

1- **الدولة العثمانية** :

لا نقاش أن ظهور الدولة العثمانية على الساحة الدولية و انتقال القوة الإسلامية من العرب إلى الترك، و بالرغم من عدم وجود قرابة بين سلاطين الدولة العثمانية والنبي محمد ( ص)، لكن رغم ذلك استطاع العثمانيون حمل لواء الخلافة الإسلامية، و يرجع الأتراك في نسبهم إلى كومر بن يافث بن سيدنا نوح عليه السلام، فهم ليسوا من الجنس السامي [1]

تأسست الدولة العثمانية في آسيا الصغرى سنة 1302 [2] ،إستطاعت تثبيت أقدامها في آسيا [3]، و تحولها من إمارة صغيرة و تطورها إلى مملكة ذات ممتلكات شاسعة بين قارات العالم القديم، حيث نشأت هاته الدولة في فترة كان الإسلام يلاقي فيها هزائم عسكرية، ويرجع المؤرخين أن ظهور الترك كان في بلاد الأناضول وبالتحديد من قبيلة قابي أسلاف العثمانيين و ظهور أرطغرل بن سليمان شاه .

و ترتبط المراحل الأولى للدولة العثمانية بالحملات المغولية المدمرة في المشرق الإسلامي للقرن 13 م ، و التي صاحبتها هجرة جماعية للقبائل التركية من وسط آسيا إلى إيران و الأناضول في عهد السلطان السلجوقي علاء الدين الأول[4] .

بعد وفاة أرطغرل بن سليمان شاه ظهر عثمان ابنه الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العثمانية، والذي استطاع ضم عدة إمارات خصوصا بعد مقتل علاء الدين السلجوقي و توسعات المغول، و بعد وفاة عثمان عام 726 هـ انتقل الحكم إلى ابنه أورخان (1324-1362)[5] ، الذي استطاع ترتيب البيت العثماني من الداخل وعمل على فتح المدن و توزيع الأراضي التي جرى احتلالها على محاربيه المخلصين [6] ، وبذلك استطاع آل عثمان من ممارسة السلطة المطلقة على أملاكهم ، و كان شعار أورخان هو "سلطان بن سلطان، الغازي ابن الغازي"، وبعد استقرار الأمور داخل الدولة خلال هاته الفترة توجه **أورخان** إلى الفتوحات، خصوصا اتجاه الإمبراطورية البيزنطية الذي استطاع افتكاك العديد من الأراضي التابعة لها في البلقان، التي خضعت لسيطرة **سليمان باشا** الذي توفي بعد سقوطه عن جواده سنة 760 هـ / 1358 م [7] .

و بعد وفاة **أورخان** في العام الموالي لوفاة ابنه سليمان خلص الحكم للإبنه **مراد** الذي استطاع فتح **ادرنة** سنة 762 هـ / 1360 م و بهذا الانتصار اخذ ملوك أوربا احتياطاتهم و لجأوا إلى إمبراطور القسطنطينية رغم الصراع المذهبي في أوربا القائم أنذاك ، إلا أن كل هذا التخوف من التوسع العثماني لم يجد الأوربيين شيئا ، فقد استطاع العثمانيون التوسع على حساب أراضي**لازاربيلنا نوفتش في صربياو بلغاريا** [8] .

---

1 **محمد عبد الله عودة و آخرون : مختصر التاريخ الإسلامي ، الأهلية للنشر و التوزيع ، عمان 1989 ، ص 151 .**

2 **روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، ط1 ، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع ، القاهرة 1992 ، ص 17 .**

3 **تورمان بينز : الإمبراطورية البيزنطية ، تعريب : حسين مؤنس ، محمود يوسف زايد ، ط 1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر ، القاهرة 1950 ، ص 361 .**

4 **عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة د.ت ، ص 34 .**

5 **محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، ط4 ، المكتب الإسلامي ، ج 8 ، بيروت 2000 ، ص 62 .**

6 **احمد عبد الرحيم مصطفى : أصول التاريخ العثماني ، ط 3 ، دار الشروق ، القاهرة 2003 ، ص 39 .**

7 محمود شاكر : المرجع السابق ، ص 66.

8 المرجع نفسه : ص 69 .

يمكن القول أن العبور العثماني الأول نحو القارة الأوربية كان بناءا على طلب الإمبراطور البيزنطي يوحنا السادس ، الذي طلب مساعدة **أورخان** في حروبه ضد الصرب[1] ، و كان باستطاعة **مراد** فتح القسطنطينية لولا تردده[2]، و في المقابل على الجانب الآسيوي إتبع مراد سياسة مغايرة للتي طبقها في أوروبا ، حيث اتخذ المصاهرة وشراء الأراضي في الصراع القائم بين العثمانيين وهاته الإمارات، أو ما بين الإمارات الصغيرة نفسها، حيث زوج مراد ابنه بايزيد من أميرة كرميان [3] .

لكن في أواسط آسيا تصادم أبنائه و اختلفوا حول الخلافة ونشبت حرب أهلية استمرت لإحدى عشرة عاما [4].

و بعد طول صراع تسلم الحكم بايزيد الأول( 1402-1389) [5] الذي كان يبلغ من العمر 30 عاما، والذي اشتهر بمواصلة الجهاد والملقب بابيلدرم والتي تعني الصاعقة ، و استطاع بايزيد من الوصول إلى غاية **مقدونيا الشمالية** و **ألبانيا** و بادر أيضا بمحاصرة القسطنطينية 1391 م / 794 هـ لأول مرة لكن واقعة أنقرة سنة 1402 م قلبت موازين القوى في المنطقة ، حيث دارت معركة حاسمة ما بين تيموربك [6] و بايزيد و التي انتهت بفوز تيموربك الذي لحقت به خسائر لم تلحق به من قبل بالرغم من إنتصاره، ويعود سبب الهزيمة إلى قبول بايزيد حرب ميدانية بدل حرب عصابات، و بذلك توفي بايزيد بعد أسره سنة 1403 هـ.

ما زاد الدولة تمزقا بعد وفاة بايزيد تنازع أبنائه على السلطة و انتصار محمد الأول (1421-1413) ، و قتله لإخوته بمساعدة الإمبراطور البيزنطي. وتقديم التنازلات له، حيث عرفت الدولة العثمانية تناقصا في مساحتها من 9420000 كلم$^2$ إلى 572000 كم$^2$ عند وفاة السلطان محمد سنة 1421[7] والذي خلفه مراد الثاني (1421م/1451م) (816هـ-824هـ)، الذي تولى السلطة و لم يزد عمره عن 18 سنة، و انتهج سياسة تنبني على إعادة السيطرة على إمارات الأناضول التي فقدتها الدولة العثمانية أثناء غزو تيموربك ، وسارع مراد إلى حصار القسطنطينية سنة 1422م ، لكن سرعان ما فشل هذا الحصار بفعل مؤامرات التي حيكت له من قبل أخيه مصطفى الذي فشل في الإنقلاب عليه ، وهكذا ظهر للجميع استعادة العثمانيين قوتهم المفقودة منذ هزيمة 1402م[8].

استطاع مراد رد هيبة الدولة العثمانية وفتح جبهة أوروبا التي كانت قد أغلقت بعد هزيمة 1402م، و مواصلة الجهاد و السيطرة على **المجر**، ورغم التحالفات الصليبية

---

1 نيقولو باربارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، يوميات الحصار العثماني 1453 م ، دراسة و ترجمة و تعليق حاتم عبد الرحمن الطحاوي ، ط 1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، مصر 2002 ، ص 20 .

2 عبد السلام عبد العزيز فهمي : السلطان محمد الفاتح ، ط 5 ، دار القلم ، دمشق 1993 ، ص 15.

3 احمد عبد الرحيم مصطفى : المرجع السابق ، 50.

6 عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ، ص 17.

5 كان بايزيد أول عاهل عثماني يحتسي الخمر . أنظر :احمد عبد الرحيم : المرجع السابق ، ص 61.

6 ولد سنة 1336 في مدينة كش جنوب سمرقند في منطقة كشكا داريا من عشيرة أصلها يرجع للمغول، لكن أصبحت بعد دلك ضمن المغول المتتركين ، و كون تيمور بك إمبراطورية قوية منافسة للعثمانيين ، توفي سنة 1405 م . احمد عبد الكريم سليمان : تيمور بك و دولة المماليك الجراكسة ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، دمشق 1985 ، ص 11 .

7 يلماز ازوتونا : تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتموين ، تركيا ،1988،ج1،ص119.

8 نيقولو باربارو: المصدر السابق ، ص 33.

والتمردات في الأقاليم العثمانية، إلا أن **مراد الثاني** استطاع الحفاظ على توازن الدولة العثمانية، الذي ساهم من قريب أو بعيد في تمكن محمد الفاتح (1451م/1481م)،(855هـ/885هـ) [1] من فتح القسطنطينية سنة 1453، و هو الانجاز الذي عجز عنه الكثير من السلاطين العثمانيين حيث واصل هجوماته على أوروبا و تحويل **الصرب** ، وبلاد **مورة** ( اليونان) و**الأفلاق** ( جزء من رومانيا الحالية) و **البوسنة** و فتحهم لبلاد **البغدان** ( مولدوفا حاليا) ، **تراسلفانيا** و(الجزء العربي من رومانيا )، وترك محمد الفاتح وصية للابنه بايزيد جاء فيها: "يا بني, إن نشر الإسلام في الأرض هو واجب الملوك على الأرض، فاعمل على نشر دين الله حيثما استطعت"[2] وقد اقسم الفاتح قبل وفاته على دخول روما و أن يطعم حصانة في مذبح كنيسة القديس بطرس إلا أن المنية وافته قبل تنفيذ مخططه عام 1481 م و بموته انقذت ايطاليا من خطر الفتح المتجه نحوهم [3].

و شكلت الدولة العثمانية في عهد الفاتح جزءا مهما على الساحة السياسية في أوروبا ، و أخذ الدور العثماني في الصراعات الأوروبية يزداد مع الزمن[4].

و بعد وفاة أبو الفتوح اندلع نزاع بين ابنيه بايزيد و جم بحيث استطاع بايزيد (1482م-م1514) ، ( 886هـ-918هـ) ، السيطرة على زمام الأمور و توجه إلى مصر إلا أنه عاد عام 1482م و دخل الأناضول بمساعدة المماليك، واستغل فتيل الحرب الأهلية مرة ثانية [5].

و قد اتبع بايزيد الثاني سياسة حذرة و استرضائية سواء في الداخل أو في الخارج و في عهده عرف العالم الإسلامي سقوط غرناطة آخر إمارة إسلامية في إسبانيا وزيادة التعصب الديني، و صدور قانون يحرم على المسلمين إقامة شعائرهم الدينية، و منع وجود الإسلام و المسلمين باعتبارهم خطرا على الدولة الكاثوليكية في إسبانيا [6].

مما سبق نستنتج أن الدولة العثمانية تحولت من إمارة حدودية إلى إمبراطورية وساعدها في ذلك الظروف والتطورات الدولية المحيطة بها جعلها تبرز على الساحة العالمية كقوة منافسة للقوى العظمى في تلك الفترة .

**1- اسبانيا :**

يعتبر القوط أعظم قبائل الجرمان الشرقيين وأشدهم خطرا ، و يرجح أنهم قدموا من **اسكندنافيا** إلى وسط و جنوب وشرق القارة الأوربية، بحيث هاجرت قبائل القوط في

---

[1] أعظم سلاطين آل عثمان ، أطلق عليه الأوروبيون السيد العظيم ، ولد سنة 1429 م ، تمكن من فتح القسطنطينية سنة 1453، التي جلها عاصمة الدولة العثمانية ، توفي سنة 1481. انظر : عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ، ص . ص ، 31-32.

[2] جمال عبد الهادي و آخرون : تاريخ الدولة العثمانية للبراعم المسلمة ، دار الوفاء ، الإسكندرية 1995، ص 10.

3 محمد حرب : العثمانيون في التاريخ و الحضارة ، المركز المصري للدراسات العثمانية و بحوث العالم التركي ، القاهرة 1994، ص 88.

4 يلماز أوزوتونا : المرجع السابق ، ج 1، ص 194.

5 خليل اينالجيك : تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ترجمة : محمد . م. الأرناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي ، بيروت 2002، ص 50.

6 محمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت1982، ص 251.

القرن 01 م جنوبا إلى فيستولا ( إحدى مدن بولندا) واستقروا في سيكثيا ( إحدى مدن كرواتيا) ، يرى ابن خلدون في كتابه "ديوان المبتدأ والخبر" عن القوط أنهم : " كانوا يعرفون بالسيسين نسبة إلى الأرض التي كانوا يعمرونها بالمشرق فيما بين الفرس واليونان وهم في نسبهم إخوة الصين من ولد ماغوغ من يافث"[1].

و كان للقوط تأثير كبير في تاريخ أوروبا السياسي و الثقافي، و يقسمون غالبا إلى قوط شرقيين و قوط الغربيين منذ مطلع القرن الثالث ميلادي [2].

**القوط الشرقيون :**

نشأوا في الأصل في مقاطعة **داقية** ( رومانيا) والتي هجرها الرومان ليتفرغ القوط الشرقيون للدفاع عن حدودهم، بحيث تعاونوا وتحالفوا مع الإمبراطورية الرومانية الغربية، أما القوط الغربيون فقد استقروا بمنطقة **داكيا** بعد عقدهم معاهدة مع الإمبراطور الروماني أورليان وباعتبارأن القوط الغربيين هم من استقروا بمنطقة شبه الجزيرة الايبيرية و فرنسا بين 407 م و 409 م، و الشرقيون الذين استقروا في المجر و في إيطاليا إلا أن الغربيين كانوا يخضعون لسيادة أشقائهم الشرقيين لفترة طويلة [3].

بعد استقرار القوط الغربيون شبه الجزيرة الايبيرية التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية ووفقا للاتفاق الذي حصل بينهم و بين الرومان، ورغم التفكك و التناحر بين قبائل القوط الغربيين استطاعوا توحيد جهودهم و نيل استقلال تام عن الرومان الذين اكتشفوا أن السماح لهؤلاء بالإقامة في قلب الإمبراطورية [4] كان خطأ جسيما ، و في سنة 711 م حينما كان المسلمون في شمال إفريقيا يعدون عدتهم للانقضاض على اسبانيا في وقت كان لذريق ملكا على القوط بعد اغتصابه للحكم وعزله للملك السابق غيطشة كما يسميه العرب [5] و كانت عاصمة مملكة القوط في اسبانيا في ذلك الوقت طليطلة على ضفاف نهر التاج في أواسط اسبانيا [6].

و من الواضح أن العرب استغلوا حالة الضعف التي كان يعاني منها القوطيين من جهة و تعاون العديد من الأسبان للتخلص من العبودية [7] والجهل والتخلف والظلم السائد [8] ولم يكن هدف المسلمين البحث عن الثروة أو السلطة و إنما الدعوة إلى الله وتعليم دينه للناس كافة و هو النهج الذي سار إليه المسلمون في كل فتوحاتهم[9] وأطلق العرب على ايبيرية اسم الأندلس المشتق من اسم قبائل التفدال أو الوندال [10]

---

[1] عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، مراجعة ، سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت 2000، ج2، ص 280 .

[2] إبراهيم علي طرفان : دولة القوط الغربيين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1958، ص 39.

[3] ا إبراهيم علي طرفان :لمرجع السابق ، ص40.

[4] المرجع نفسه ، ص 52.

[5] دوروثي لودر : إسبانيا شعبها وأرضها ، ترجمة ، طارق فودة ، مراجعة و تقديم ، عز الدين فريد مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1965، ص 42.

[6] جرجي زيدان: فتح الاندلس ن تقديم و دراسة ، محمود علي مكي ، دار الهلال ، الرياض 1983، ص 6.

[7] ج. س .كولان : الاندلس ، ترجمة ، ابراهيم خورشيد و اخرون ، ط1، دارالكتاب اللبناني ، بيروت ، دارالكتاب المصري ، القاهرة 1980، ص 107.

[8] راغب السرجاني : قصة الاندلس من الفتح الى السقوط ، ط1، مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع و الترجمة، القاهرة 2010 ،ج1،ص19 .

[9] المرجع نفسه ، ص 21.

[10] نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الاندلس تقديم ، احمد بن سودة ، دار الامير للثقافة و العلوم

و قال العرب الأندلس أندلسان الأندلس الشرقي ما صبت أوديته إلى البحر الرومي المتوسط، و الأندلس الغربي ما صبت أوديته إلى البحر الكبير المعروف بالمحيط[1].

و قد استطاع طارق بن زياد حاكم طنجة تحت إمرة موسى بن نصير من الدخول إلى الأندلس برفقة يوليان [2] ثم اتجه الجيش من الجنوب إلى الشمال [3] واستطاع المسلمون السيطرة على الأندلس بعدما جمعتهم مع القوط معركة حاسمة في واد لكة 1711 [4] و استمر الوجود الإسلامي في الأندلس إلى غاية تسليم مفاتيح إمارة غرناطة 1491م [5] و سقوطها نهائيا سنة 1492 م و طرد المسلمين منها.

و كان سقوط الأندلس في يد النصارى بعد توالي المأسي بعد موقعة العقاب وسقوط قرطبة و أخيرا إمارة بني الأحمر بغرناطة [6] إيذانا بتواصل الهجومات الصليبية على المسلمين على الرغم ما كانت تواجهه اسبانيا من فتحها لجبهة ثانية في أوروبا ناحية ايطاليا أو ما يعرف بالحروب الايطالية في أوروبا ( 1498م-1502م) [7].

---

، بيروت ، 1995، ج2، ص 57.

[1] شكيب ارسلان ، الحلل السندسية في الاخبار و الأثار الاندلسية ، كلمات عربية للتربية و النشر ، القاهرة 2011 ، ج1، ص 104.

[2] جوليان يرد اسمه في اشكال مختلفة مرة اليان و مرة يليان و اخر جوليان انظر الى : نجيب زبيب: المرجع السابق،ص72 .

[3] عبد الحكيم الذنون: افاق غرناطة ، ط1، دار المعرفة، دمشق 1988، ص 21.

[4] ج.س كولان : المرجع السابق ، ص 102.

[5] ستانلي لين بول : قصة العرب في اسبانيا، ترجمة ،علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة و النشر ، القاهرة 2012 ،ص154.

[6] يقال غرناطة و يقال اغرناطة و كلاهما اعجمي و هي مدينة مكورة السيرة بينهما فرسخان و ثلثا فرسخ من اعظم ثغور الاندلس . للمزيد انظر: محمد لسان الدين الخطيب :الإحاطة في اخبار غرناطة ، ط1، مطبعة الموسوعات ، مصر ، 1998، ص 11.

[7] William.prescott :histoir of the regio of ferdinand and Isabella , the cataolic, tenth edition, new yourk , 1849, p 5.

## الفصل الأول : الخارطة السياسية لشمال وجنوب غرب المتوسط

يكتسب حوض البحر المتوسط أهمية حضارية و إستراتجية بالغة ، فقد ظهرت على ضفافه حضارات راقية، حيث يمثل مركز للتجارة الدولية و حلقة وصل بين مختلف شعوب العالم خاصة بين شماله و جنوبه و هو ما جعله ميدانا للتأثير و التأثر بين الشعوب، التي عاشت على ضفافه و بين الدول التي ظهرت على مر العصور خاصة تلك التي قامت خلال الفترة الحديثة و بالأخص خلال القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي و مطلع القرن الحادي عشر هجري / السابع عشر ميلادي و التي تتركز على الحوض الغربي من هذا البحر و التي هي موضوع هذه الدراسة .

إن الهدف من هذا الفصل هو محاولة الإحاطة بالوضع الدولي الذي ميز منطقة الحوض الغربي للمتوسط مع مطلع القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي ومعرفة مختلف القوى السياسية التي حاولت فرض قوتها في هذه الفترة في غرب المتوسط .

و قد تميز الوضع الدولي في الحوض الغربي المتوسط في مطلع القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي بوجود قوى على ضفتيه من الشمالية أهمها إسبانيا إلى جانب البرتغال و أخرى مقابلة لها في الضفة الجنوبية تمثلت في دول المغرب الإسلامي.

فالسؤال الذي يطرح في هذه الحالة و في هذا الفصل هو ما الوضع العام الذي ميز منطقة الحوض الغربي للمتوسط خلال هذه الفترة عموما و ما هي الظروف التي تحكمت في العلاقات بين القوى السياسية التي وجدت على ضفتيه ؟

### المبحث الأول : شمال غرب المتوسط

تميزت هذه المنطقة بتواجد قوى سياسية أثرت في العلاقات الإقليمية تمثلت في اسبانيا و البرتغال في شبه الجزيرة الايبرية ، و فرنسا كطرف في الصراع بالإضافة إلى الدويلات الايطالية حيث يمكن لنا أن نلخص الوضع فيما بين هذه الدول في مطلع القرن 10 هـ و 16 م فيمايلي :

**1-إسبانيا والبرتغال:**

**أ- اسبانيا** : عرفت اسبانيا في نهاية القرن 15 م و شبه الجزيرة الايبرية بشكل عام تطورت ميدانية و التي كان لها اثر كبير على مصير اسبانيا و مستقبلها خاصة وأوروبا على العموم ، و من هذه التطورات زواج ملك اراغون فرديناند(1516-1467م) بملكة قشتالة إزابيلا ( 1474م/1504م) سنة 1469م، و تم بذلك توحيد المملكتين وهكذا تكونت اسبانيا المسيحية الموحدة.[1]

[1] أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا ( 1492م-1792) الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر د.ت، ص 21.

و بحكم المصير المشترك لكل من ارغون و قشتالة و دورهما في الصراع مع المسلمين و ما يجري في المغرب الإسلامي اتخذت هذه الوحدة السياسية صبغة دينية ، نتج عنها ما عرف بحروب الاسترداد ، التي قادتها اسبانيا ضد مسلمي الأندلس وسكان المغرب الإسلامي [1]

و كان أول عدوان شنته مملكة اسبانيا الكاثوليكية الموحدة ، القضاء على آخر إمارة و معقل للمسلمين في الأندلس و في شبه الجزيرة الإيبيرية و هي إمارة غرناطة سنة 1492 م أخدت الدول المسيحية و على رأسها إسبانيا على ملاحقة مسلمي الأندلس في شمال إفريقيا ، و البقاء بمقربة من بلدان المغرب الإسلامي لصد أي محاولة يقوم بها المسلمون لاسترجاع دولتهم في اسبانيا ، و بهذا احتفلت اسبانيا يومئذ بنصرين عظيمين : النصر على المسلمين و اكتشاف أمريكا [2] .

لقد سعت اسبانيا و البرتغال وفق المعاهدة الموقعة بينهما و المسماة بتورد سيلاس في جوان 1494 م ، تقسيم مناطق النفوذ في سواحل المغرب الإسلامي حيث حدد حجر باديس كفاصل بينهما ، تفاديا للصدام بين الدولتين [3] مستقبلا .

و في نفس السنة التي تم فيها عقد اتفاق بين الطرفين أرسل كل من فرديناند وإزابيلا جواسيس كانوا متنكرين في زي تجارمثل فرناندو ديزافيرا الذي أرسله فرديناند للاستطلاع على الأوضاع في مملكتي فاس و تلمسان [4] ، وديبادايا الذي أرسل إلى تلمسان ووضع تقرير عن المنطقة [5] .

و في مطلع القرن السادس عشر سعت اسبانيا إلى تنفيذ مشروعها لاحتلال موانئ هامة على سواحل المغرب الإسلامي ، كالمرسى الكبير 911 هـ / 1505 م ، و وهران في سنة 914 هـ / 1509 م ، و بجاية في سنة 915هـ / 1510 م[6] ، ثم طرابلس في سنة 916 هـ / 1510 م [7] .

و قيامهم أيضا بتسيير حملة نحو جزيرة جربة في نفس السنة لكنها بائت بالفشل[8] ، وفي سنة 1516 م أصبح شارل الخامس ملكا للأسبان ، و بعد مرور ثلاثة سنوات أصبح شارلكان على رأس الإمبراطورية المقدسة و قد كرس جميع جهده لتوحيد الدول المسيحية ، و في سنة 1525 م أرغم شارلكان فرانسوا الأول على توقيع معاهدة مدريد 1526 م ، و تنازل له عن نابولي و ميلانو و جنوة ، و بعد ذلك قام شاركان بتوطيد علاقة مع البندقية

---

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج3، دار الثقافة ، بيروت ، 1983، ص 97.

[2] احمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 48.

[3] شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير ، ط1، مكتبة الانقولو المصرية ، القاهرة ، 1977، ص.ص ، 77-78.

[4] Fernand braudel: les espagnoles et lafrique du nord de ( 1492-1577) in R.A , alger 1928,t 19 , p217

[5] جون. ب .وولف : الجزائر و أوروبا ( 1500-1830) ،ترجمة و تعليق ، ابو القاسم سعد الله ن المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، ص 53.

[6] الحسن بن محمد الوزان : وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي و اخرون ،ط2 ، دار المغرب الاسلامي ،بيروت ، 1983،ج2 ، ص 52.

[7] رافت الشيخ : تاريخ العرب الحديث ،عين للدراسات و البحوث الانسانية و الإجتماعية ، مصر ، 1994، ص 297.

[8] مارمول كاربخال : افريقيا ، ترجمة محمد حجي و اخرون ، دار النشر المعرفة ظن الرباط، 1988، ج2 ، ص 109.

و تحالف مع أندري دوريا[1] الذي انتقل إلى خدمته سنة 1528 م ، و ضمنت بذلك دعم اكبر أسطول بحري ايطالي في غرب المتوسط.

كما تمكن شارلكان من التحالف مع فرسان القديس يوحنا سنة 1523 م ، و منحهم طرابلس سنة 1530 م بعدما توج شارلكان بالتاج الإمبراطوري ، على يد البابا كليمانت السابع [2] ، و هذا كله من اجل محاربة المسلمين[3] و الانتقام على طرد العثمانيين للفرسان من جزيرة رودس سنة 1523 م .

ب- **البرتغال** : في مطلع القرن 15 م و تحديدا في 1413 م استكملت البرتغال وحدتها السياسية حيث عملت على شن هجمات ضد سواحل بلدان المغرب الإسلامي و ذلك بداية من سنة 1415 م على مدينة سبتة و طنجة سنة 1437 م و الدار البيضاء سنة 1496 م و قد ساهمت الكشوفات الجغرافية في بروز البرتغال كقوة بحرية ، و هو الأمر الذي ساهم فيه الأمير هنري الملاح ( 1394 م – 1460 م ) بحيث استطاع البرتغاليون ما بين 1496 م / 1515 السيطرة على طرق هامة للتجارة خصوصا طريق الهند سنة 1497 م حيث قام فاسكودي جاما في هذه السنة بالوصول إلى الهند التي كانت تعتبر مركزا هاما لتجارة التوابل [4]، و هو ما حتم ضرورة القضاء على العرب و المسلمين أينما كانوا .

أخذت الإمبراطورية البرتغالية تشن هجوماتها الممنهجة ضد بلاد المغرب الإسلامي بداية من أواخر القرن 15 م خصوصا بعد سقوط غرناطة 1492 م [5] ، وتوقيعها معاهدة تورد سيلاس في جوان 1494 م و التي حملت بمقتضاها ، تحديد مناطق النفوذ بينها و بين اسبانيا .

**2- فرنسا و الدويلات الايطالية :**

أ – **فرنسا** : أرادت تزعم الدول الأوربية و ذلك منذ مطلع القرن 16 م بتوظيف الدولة العثمانية كورقة ضغط على الدول الأوربية المنافسة لها ، و خصوصا اسبانيا والصراع بين الهابسبورغ و البروبون و بهذا فقد رأى فرانسوا الأول ملك فرنسا بان الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة التي تضمن التوازن الأوربي ، و بهذا فقد رأى فرانسوا الأول عقد تحالف فرنسي عثماني من اجل إيقاف زحف و تعاظم القوة الاسبانية بداية من سنة 1536م حيث تم عقد ما يسمى بمعاهدة الامتيازات [6] ، و ذلك كله من اجل الضغط على شارل الخامس و أسرة إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة [7] من باب " عدو العدو صديق " [8] والإبقاء على أوروبا مقسمة خصوصا في عهد سليمان القانوني [1] ، إلا أن هذا

---

[1] بحار جنوي ولد سنة 1466 كان منافسا لخير الدين حارب الاسطول العثماني في حوض المتوسط، توفي سنة 1560م ، انظر الى:جون وولف : المرجع السابق ، ص 41.

[2] عبد الحميد البطريق و عبد العزيز نوار : التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية ظن بيروت ، 1973، ص 77.

[3] محمد فريد يك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق، احسان حقي ، ط6، دار النفائس ، بيروت ، 1988، ص 203.

[4] اشرف صالح محمد سيد : اصول التاريخ الاوربي الحديث ، ط1، دار واتا للنشر و التوزيع ، قطر 2009، ص 72.

[5] المرجع نفسه، ص 73.

[6] للإ طلاع على النص الكامل للاتفاقية انظر الى : محمد فريد بك : المرجع السابق ، ص.ص ، 224-229.

[7] عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق ، ص 130.

[8] محمد فريدبك : المرجع السابق ، ص 209.

التحالف لم يدم طويلا و ذلك بسبب وقوع خلافات بين الدولتين و كان آخر تحالف بينهما فتح جزيرة كورسيكا وصقلية [2] .

إن التقارب العثماني الفرنسي أثر على موازين القوى في أوروبا و أعطى فرنسا دفعا قويا في المنطقة و جعلها تقف الند بالند أمام اسبانيا و لكن بمجرد زوال هدا التحالف وحصول تقارب اسباني فرنسي جعل الدولة العثمانية أمام مواجهة أكبر قوتين أوروبيتين.

**ب- الدويلات الايطالية :**

اكتسب الدور الذي لعبته بعض المدن الايطالية أهمية بالغة في موازين القوى في الحوض الغربي للمتوسط ، نظرا لتأثير تلك المدن فيأي صراع في المنطقة ، حيث استطاعت هذه المدن في تثبيث أقدامها في الحوض الغربي للمتوسط و تكوين مراكز تجارية بمحاذاة ساحل المغرب الإسلامي و احتكار التجارة ، حيث كان من مصلحة هذه المدن استمرار أي صراع في المنطقة واتخذت هذه الدويلات سياسة الازدواجية التي مارستها البندقية على سبيل المثال ، حتى وصفت هاته السياسة أحيانا بالهرطقة من طرف البابوية ، حيث كانت محل للكراهية و مواجهة العثمانيين من جهة و الدول الأوربية من جهة أخرى ، لكن عند الملاحظة نجد أن العلاقة بين هذه المدن خاصة البندقية تربطها مع الدولة العثمانية علاقة أقوى [3] مقارنة بجنوة التي كانت مساندة لاسبانيا في صراعها ضد العثمانيين و تقديم كافة الوسائل اللازمة لاستمرار ذلك الصراع ، حيث أخذت جنوة تستطلع إلى دور أقوى بتحالفها مع شارلكان في مطلع القرن 16 م ، و يعود سبب تحالف جنوة مع اسبانيا ضد الدولة العثمانية إلى محاولات الجنوبيين فك الحصار عن القسطنطينية خلال حكم محمد الثاني حيث جردت جنوة خلال هذه الفترة من مستعمراتها في القرم ، و أصبحت هده الجزيرة تابعة للعثمانيين[4] حيث شهدت العلاقات العثمانية الجنوية في مطلع القرن 16 م توتر عكس ما كانت عليه العلاقات المملوكية الجنوبية [5]

و يعود سبب تحالف الجنويين مع الإسبان الى اضطرار الجنويين للإرتماء في أحضان الإسبان بقصد الحماية و إتاحة الفرصة امامهم لممارسة التجارة ، مستغلين في ذلك الفراغ الكبير الذي تركه مسلموا الاندلس عقب طردهم من اسبانيا منذ عام 1492م حتى سنة 1609 ، اما من الجانب الاسباني فاستمرار المخطط الاستعماري جعلها تحمل قبول التجار الجنوبين و استيعابهم للاحتياجهم الشديد للأساطيل البحرية بإعتبار جنوة أمة بحرية لها ماض و تاريخ من جهة و امتلاكها أساطيل بحرية قوية، حيث قدمت جنوة خدمات فعلية للاسبان في معاركهم وقد إرتبط الدور الجنوي في دعم اسبانيا ارتباطا وثيقا من

---

[1] من ابرز السلاطين العثمانيين ولد في 27 افريل 1495 م تولى الحكم سنة 1520 م عاصر كل من شارلكان و فرانسو الاول توفي سنة 1566. انظر: محمد فريديك : المرجع السابق ،ص251.

[2] احدى جزر البحر الابيض المتوسط ، احتلها المسلمون لفترة و صارت اخيرا تابعة لجمهورية جنوة و في سنة 1768 تنازلت عنها هذه الجمهورية للويس الخامس عشر ملك فرنسا انظر: محمد فريد بك: المرجع السابق ، ص 242.

[3] رافت الشيخ : المرجع السابق ، ص 18.

[4] محمد فريدبك : المرجع السابق ، ص 173.

[5] سمير علي الخادم : الشرق الاسلامي و الغرب المسيحي ، ط1، مؤسسة دار الريحاني للطباعة و النشر ، بيروت، 1989، ص 393.

خلال شخصية اندري دوريا الذي كان جنديا مرتزقا حيث تم تعينه في رتبة امير البحار بعد انضمامه الى شارل الخامس سنة1528 م[1].
اما بالنسبة للبندقية ومحاولتها السيطرة على الحوض المتوسط جعل محمد الفاتح سنة 1470 يقود ضدها حملات توجت بانتصار العثمانيين و تبرز اهمية هذا الجمهورية في طابعها التجاري البحري [2]

لعبت البندقية دورا مهما من خلال انشاء وكالات تجارية على طول طريق شمال غرب اوروبا فقد اتبعت البندقيةسياسة مزدوجة وفقا لماذكره بعض المؤرخين حيث كانت تعقد اتفاقيات تجارية مع الدولة العثمانية من جهة ، و المشاركة في تحالفات مسيحية ضد الدولة العلية في نفس الوقت، و بحكم طبيعة مصالح العثمانيين والبنادقة فإن التوافق بينهما لم يدم ، حيث انضمت البندقية مع حلف البابوية ضد العثمانيين بانشاء جمعية مقدسة [3] لكن سرعان ما فشل هذا التحالف و عادت البندقية الى أحضان الدولة العثمانية من جديد و توقيع معاهدة صلح معها و اعترافهم بسيطرة العثمانيين على بحر ايجه و هكذا انهارت القوة البحرية التي تمتعت بها البندقية [4]

**المبحث الثاني : المغرب الاسلامي**

بعد سقوط الدولة الموحدية سنة 1269 م و انقسامها الى ثلاث إمارات عاش المغرب الإسلامي حالة التفكك بحيث شهدت المنطقة تيارات سياسية مختلفة، تضاربت مصالحها بحيث اخذت كل امارة في التوسع على حساب الاخرى وخصوصا تلمسان[5] التي كانت معرضة دائما للغزو المريني [6]

**1- الدولة الحفصية و طرابلس الغرب :**

**أ-الدولة الحفصية :**

يعد أبو زكريا بن عبدالواحد الحفصي هو مؤسس الدولة الحفصية الذي اعلن انفصاله عن الدولةالموحدية في المغرب الاقصى سنة ( 626هـ -1228م) مستقلا بحكم المغرب الادنى و الذي كان يسمى عند المؤرخين المسلمين باقليم افريقية و كان يشمل مدنا كثيرة اهمها : تونس ، طرابلس ، بجاية ، قسنطينة [7]، حيث كان سبب انفصال الحفصيين عن الدولة الأم هوالنزاع الدموي الطويل بين امراء الأسرة الحاكمة في مدينة مراكش عاصمة الدولة الموحدية للإسيلاء على الحكم ، استطاع الأمير أبو زكريا أن ينهض با الدولة في فترة وجيزة بعد أن قضى على جميع خصومه و وسع ملكه في سنة ( 626هـ -1228م) على مدن قسنطينة ، و بجاية ، و تلمسان [8] و قد شهدت الدولة الحفصية في عهده استقرار

---

[1] بول كورلز : العثمانيون في اوروبا ، ترجمة : عبد الرحمن الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1993، ص 90.

[2] محمد فريد بك : المرجع اسابق ، ص 175.

[3] جون . ب.وولف : المرجع السابق ، ص 53.

[4] اسماعيل احمد ياغي :الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث ،ط2، مكتبة العبيكان ،السعودية ، 1988، ص70 .

[5] الحسن محمد بن عبد القادر الجزائري : تحفة الزائر في ماثر الامير عبد القادر و اخبار الجزائر ، المطبعة التجارية ، الاسكندرية 1903، ج1، ص . ص ، 59-60.

[6] محمد الهادي الشريف : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال ، تعريب ،محمد الشاوش ومحمد عجينة ، ط3، دارسراس للنشر ، تونس 1993، ص 53.

[7] مارمول كاربخال : المصدر السابق ، ج2، ص 303.

[8] الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج2، ص 08.

لا مثيل له[1]، حيث عرفت تونس منذ عهد أبي زكريا ابن أبي محمد بن عبد الواحد قوة لم تعرفها من قبل و اتسع نطاق حكم الحفصيين على حساب تلمسان و المغرب الاوسط [2] بعد ظهور بوادر الضعف على دولة الموحدين سارع الحفصيون الى إثبات وجودهم و إستغلال فترات الفراغ التي كانت تمر بها الامبراطورية الاسلامية و استطاعوا التوسع على حساب طرابلس الغرب وبجاية [3]

لكن بعد موت المستنصر سنة1277م ، دخلت تونس في نفق مظلم لم تخرج منه الى غاية مطلع القرن 15 م والتي عرفت خلالها تونس إستقرار سياسيا مكنها من الظهور مجددا كقوة في المنطقة لكن سرعان ما عاد اليها الضعف خلال نهاية هذا القرن بحيث اصاب تونس ازمات شديدة و تطورات غيرت المشهد العام ، بحيث تجاوزت البلاد التونسية[4]. لتشمل منطقة المغرب الاسلامي عامة، و من بين هذه التحولات التدخل الاسباني في شؤون البلاد بداية من بجاية الى جربة و الذي صاحبها تراجع في الجهاز البحري في المتوسط الذي انعكس سلبا على الخزينة التي كانت تعتمد وبشكل رئيسي على الموارد الخارجية حيث اصبحت تونس تسير نحو الضعف و التفكك ، حيث أدخل السلطان الحفصي في مطلع القرن 16 م تحت طاعة الإسبان و أخذت المناطق التي كانت تحت سيطرتهم تخرج عن دائرة نفوذهم و بدأت بذلك تونس تفقد إماراتها [5]

و على إثر الوجود الإسباني في تونس و تحالف الحسن الحفصي معهم و مع فرسان القديس يوحنا عمل خير الدين على أخذ الموافقة من السلطان العثماني سليمان القانوني بحيث اجتمع معه في اسطنبول في عام 1532 و و تقرر على اثرها اطلاق عملية فتح تونس و الاستيلاء عليها [6].

**ب- طرابلس الغرب:**

يعرف عن ليبيا منذ القدم أنها تنقسم إلى كيانين سياسيين منفصلان برقة ، و طرابلس الغرب يفصل بينهما خليج سرت على الساحل ، أماالمناطق الصحراوية يطلق عليها اسم فزان [7] و كانت ليبيا منذ القدم نقطة وصل ما بين اواسط افريقيا و الدول الأوربية الأخرى[8].

لقد عاشت العديد من المدن التابعة للسلطة الحفصية فترات من الإضطراب السياسي ساعد على تدهور الوضع السياسي في المنطقة ، فمنذ عهد أبا محمد عبد الواحدين أبي حفص

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق ، ج6، ص . ص ، 381-382.

[2] المرجع نفسه : ج2، ص 290.

[3] روبار برنشفك : تاريخ افريقية في العهد الحفصي ، ترجمة ، حمادي الساحلي ، ط1، دار الغرب الاسلامي ،بيروت 1988، ج1، ص 29.

[4] محمد الهادي الشريف : المرجع السابق ، ص 53.

[5] Ernest merceier : histoir de l’afrique septentionale , T3, ernest le romse editeur ,paris , 1891, P 45.

[6] عبد المنعم الهاشمي : الخلافة العثمانية ، ط1، دار ابن حزم ، بيروت 2004، ص 309.

[7] شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص 127.

[8] المرجع نفسه، ص 128.

المعين في مكان يحي إبن إسحاق الميورقي بعد عزل الخليفة الموحدي الناصر لله انتقلت طرابلس الغرب لحكم الحفصين الذين اعتبروا انفسهم أمراءعليها .[1]
و بعد خضوع الطرابلسيين للحفصيين، شهدت المدينة إضطرابات واسعة و عدم استقرار نتيجة الصراع القائم في عاصمة الحفصيين و عدم تحكمهم في زمام الامور وعليها قام الطرابلسيين بإستغلال الوضع القائم و قاموا بتنصيب محمد بن ثابت بن عمار علي على هرم السلطة في المدينة وحكم ال ثابت [2] لطرابلس لمدة ثمانين سنة دون إثارة غضب وحفيظة الحفصيين [3].
فطول المدة التي أخضعت فيها طرابلس للحفصيين إلا أن بني حفص لم يحكموا المدينة بل عاشت تحت حكم مستقل لا يخضع إلا اسميا لهم ففي عهد اسرة بني ثابت كانت البلاد مسرحا للعديد من الفتن و الثورات المتواصلة التي ارهقت البلاد و العباد، و اصبحت مدينة طرابلس تحت حكمهم تتأرجح بين التبعية والإستقلال ، فأحيانا يستقلون بها و تارة اخرى يقدمون طاعتهم لسلطانها و يدخلون تحت لواء الدولة الحفصية التي شنت عليهم حملات كثيرة سواء لتغيير حاكم او لمحاولة الإحتفاظ بها اثناء تعرضها للخطر، و تعرضت مدينة طرابلس خلال الحكم الحفصي لحملات عديدة منها ثورة الدعي إبن أبي عمار المسلمي الذي إدعى أنه الفاطمي المنتظر و إستطاع أن يضم قبيلة بني ذياب [4] الطرابلسية و ثورة أبي سانوسة و ثورة بني عزاب وعلى الصعيد الخارجي تعرضت طرابلس خلال الحكم الحفصيين لهجمات الجنويين الذين احتلوا المدينة لمدة خمسة أشهر نتيجة ضعف الحفصيين ، وفي مطلع القرن هـ16/10 م اخذت الإمارات التابعة لها في الإنفصال و تأسيس كل واحدة حكمها الذاتي فأصابها [5] وللإمتلاك طرابلس الغرب موقعا إستراتيجيا و حركة ونشاطا إقتصاديا في تلك الفترة فرضت على اسبانيا ضرورة التحرك للسيطرة عليها سنة 1510م[6].

## 2- الدولة الزيانية بالمغرب الاوسط و المرينية و الوطاسية بالمغرب الاقصى:

### أ- الدولة الزيانية :

يرجع أصل بنو زيان [7] إلى قبيلة زناتة الأمازيغية و في رواية أخرى أنهم من جد شرفاء الأدراسة و كان تأسيس هذه الدولة على يد أبي يحي يغمراسن بن زيان [1].

---

[1] ابو عبد الله محمد بن خليل غليون الطربلسي : تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طربلس و ما كان بها من الاخبار ، نشر و تصحيح و تعليق ، الطاهر احمد الزاوي ، المطبعة السلفية ، القاهرة، 1349هـ، ص 91.

[2] عرب شاميون من بني سليم من الاسر الطرابلسية التي كانت تسكن المدينة استقلوا بحكم طربلس نحو تسعة و سبعين سنة. انظر الى: احمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ط3، دارالمدار الاسلامي ، بيروت ، 2004، ص 346.

[3] محمود علي عامر و محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 46.

[4] بنوا ذياب او بنو ذباب يرجع نسبهم الى قبيلة بني سليم المشهورة و أرضهم من طربلس الى قابس . انظر : اسماعيل كمالي : سكان طربلس الغرب ، تعريب و تعليق حسن الهادي بن يوسف ، مركزجهاد الليبين للدراسات التاريخية طرابلس 1997، ص . ص ، 36-37.

[5] محمود علي عامر و محمد فارس : المرجع السابق ، ص 148.

[6] عبد المنعم الهاشمي : المرجع السابق ، ص 309.

[7] هناك ثلاث قبائل تحمل اسم بني زيان اثنتان من الأشراف واحدة من نسل الشريف عبد القوي الحسيني الموسوي، و الثانية بنوا زيان بن زين العابدين بن يوسف بن إدريس الحسني الإدريسي ، و الثالثة قبلية بنوا زيان

شهدت الدولة الزيانية في اواخر القرن 15 م و بداية القرن 16 م تهديدا وخطرا للأمنها جراء الهجمات الإسبانية على سواحلها ، فالتطورات التي شهدتها دولة الزيانيين كانت تنذر بنهايتها القريبة فقد أدى التنافس على العرش في تلمسان إلى فقدان بنوزيان لنفوذهم و تعرضت مدنهم إلى الإحتلال الإسباني حيث أصبح الخطر المسيحي على المغرب الأوسط حقيقة واقعة نتيجة الضعف و الاضمحلال[2] الذي كانت تمر به الدولة .
إبتداءا من سنة 1503 أخذ الزيانيون يفقدون أراضيهم لصالح الإسبان بداية بالمرسى الكبير سنة 1505 م، ووهران 1509، و كل هذا جعل أهالي تلمسان يسارعون لطلب نجدة العثمانيين الذين أخذوا على كاهلهم محاربة الإسبان حيث دار بين الطرفين وقائع ذاع صيتها في البحرالابيض المتوسط [3].

و بدلا من دفاع ملوك بني زيان عن ملكهم أخذوا في الإعتراف بالإحتلال الإسباني بداية من سنة 1512مـ فأصبح الإخوة بربروس بين المطرقة ،و السندان الزيانيين من جهة و الإسبان من جهة أخرى [4].

لكن العثمانيين لم يقفوا موقف المتفرج جراء التطورات التي تحصل في المغرب الأوسط ،حيث بادروا بمحاولة تحرير أهالي تلمسان لكن المؤمرات و الفتن و الدسائس حالت على الاخوة بربروس السيطرة على تلمسان حيث توفي إسحاق أخو عروج سنة1515م ووفاة عروج بالقرب من منطقة المالح [5] بعين المالح سنة 1518.

رغم طول فترة الصراع الزياني المريني من جهة و الزياني الحفصي من جهة أخرى ، إلا أنه لم يكن سببا في ضعف الزيانيين وانما كان الضعف والانهيار أأمام قوة خارجية ، حيث أقدم الأهالي على استجلابها بعد الوهن و العجز الذي تسرب الى أركان الدولة [6]

من البديهي أن الوجود الإسباني قد دعم أمراء بني زيان واطال عمر الدولة لكن وجودها من عدمها سواء ، فحكم ملوكها كان صوريا الى سنة 1551 تاريخ سقوطها.

**ب- الدولة المرينية و الوطاسية :**

قال صاحب الذخيرة السنية: " أما بنومرين فيهم أقام الله تعالى في المغرب الدين، وبسيوفهم قمع بجزيرة الأندلس المشركين و ابقى بها دماء المسلمين [7].

---

البربرية و منها ملوك تلمسان ، و يرجعون الى قبيلة زناتة البربرية . انظر : الى اسماعيل كمالي : المرجع السابق ، ص 38.

[1] ابي زكريا يحي : بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ، مطبعة بيير بونتانا الشرقية ن،الجزائر 1903، ص110.

[2] يحي بوعزيز : المراحل و الادوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية ( 1554-1236) ، مجلة الاصالة ، مطبعة البعث ، العدد 26، الجزائر ، جويلية . أوت 1975، ص 24.

[3] احمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ، ط1، عالم المعرفة ، الجزائر 2010، ص 66.

[4] يحي بوعزيز ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك اوروبا ( 1830-150)، ديوان المبطبوعات الجامعية الجزائرية ، الجزائر ، 1980، ص 2.

[5] مجهول: مذكرة خير الدين بربروس ، ترجمة : محمددراجة ، شركة الاصالة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2010، ص 87

[6] محمود بوعياد: جوانب من الحياة في المغرب الاوسط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1982، ص 23.

[7] علي ابن ابي زرع الفاسي: الذخائر السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1992، ص 13.

إن ضعف دولة الموحدين بعد معركة حصن العقاب 1269مـ شجع قبيلة بني مرين على الإستفادة من الفراغ السياسي ، فقد كانوا قبائل تنتقل مابين بلاد الزاب إفريقيا وسجلماسة إلى ملوية و وصلوا في بعضالأحيان إلى بلاد الزاب [1] بالمغرب الأوسط منتقلين بذلك بين القفاري و الصحاري لا يدخلون تحت حكم سلطان و لا يعرفون تجارة و لا حرثا إنما شغلهم الصيد والغارات على اطراف البلاد ، وقع خلاف بينهم وبين بني عبد الواد و بني واسين و انتقلوا بذلك من مواطنهم الأصلية بين تيهرت وتلمسان الى الجنوب الشرقي في المغرب الاقصى [2].

يتكون المرينيون من عدة قبائل منها: زناتة و مغراوة ، و بني يفرن، و تعتبر من القبائل البدوية و قد تزعم هذه القبيلة زعماء اشتهروا بالصلاح و التقى و سلامة العقيدة و حملوا من الدين الاسلامي سندا لهم ووقوفهم مع مسلمي الأندلس ضد الخطر النصراني على دولة الاسلام هناك بحيث اصبح المرنيين ظهيرا أمينا لمملكة غرناطة لكن مع اواخر15 م لم تكن الدولة المرينية أحسن حالا من جارتها الزيانية فقد تعرضت هي أيضا إلى الصراعات الداخلية جعلها عرضة للتفكك والتجزء مثلها مثل دولة بني عبد الواد [3] في تلمسان، حيث شنت إسبانيا حملات بمساعدة البرتغال على الدولة المرينية و استطاعوا إحتلال عدة مناطق فبعدما كانت الدولة المرينية قوة إقليمية تبسط في كثير من الأحيان نفوذها على الدولة الزيانية [4] اصبحت في مرمى الهجمات المسيحية

عرف المغرب الاقصى في اواخر القرن15 م بروز أسرة بني وطاس من قبيلة بني مرين لكنهم ليسوا من فرع الأسرة المرينية الحاكمة و الوطاسيين من سلالة أمازيغية تنحدر من إحدى فروع قبيلة زناتة البربرية من منطقة الزاب في الجزائر [5]

كان موطنهم في الاجزاء الشمالية من الصحراء المغربية ، و في القرن الثالث عشر ميلادي انتقلوا الى شرق المغرب و عمرو منطقة الريف [6]، و تأسست هذه الدولة بعد ضعف المرنيين حيث كان بني وطاس يتولون الوزارة و الحجابة في عهد بني مرين إلا أنهم تعرضو لمذبحة دبرت لهم من طرف السلطان عبد الحق المريني بعد شكه في مؤامرة يدبرها الوطاسيين في الإستيلاء على الحكم ولم ينجوا منها إلا اخوان اثنان احدهما محمد الشيخ المهدي الذي استطاع ان يستولي على الحكم بدخوله فاس سنة 1427 م لكن بسيطرة الوطاسيين على الحكم إستغل البرتغاليين الفرصة واستولو ا على مدينة و أغادير

---

[1] هي منطقة واسعة كات تشغل المساحة الواسعة الواقعة في جنوب الأوراس و تشمل بسكرة و ما حولها واقعة في المغرب الاوسط (الجزائر ) على بلاد الصحراء من مدنها المسيلة نقاوس ، بريكة ، و هي بلاد واسعة .انظر : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ط1، دار صادر، بيروت د. ت ، ص 365.

[2] علي محمد الصلابي : صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي ، دار الامام للطبع و النشر و التوزيع ، الاسكندرية 2003، ج1 ، ص 624.

[3] ينتسب بنو عبد الواد الى قبيلة زناتة البربرية مثلهم مثل بني مرين ، و هم من قبائل الرحل التي تجوب الصحراء كان يقصدون الشمال الغربي من الجزائر كل صيف و يضعون انفسهم في خدمة والي الموحدين على تلمسان و يشاركون الموحدين في حروبهم و قد اتاح لهم ذلك الاقامة بتلمسان و تاسيس امارة مستقلة بها على يدي قائدهم يغمراسن بن زيان سنة 633هـ

[4] ابن الاحمر : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم و تحقيق و تعليق ، هاني سلامة ن ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع ، مصر ، 2001، ص31.

[5] الحسن الوزان : المصدر السابق ، ج2، ص . ص، 73-75.

[6] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي : الإستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى ، دار الكتاب ، المغرب 1955 ، ج5، ص 118.

و أسفي و أزمور و مدينة البريجة و المعمورة بين 1471م و1515 م و استطاعت الملكة ايزابيلا القضاء على غرناطة و محت بني الاحمر من جزيرة الاندلس[1] كما شهد المغرب عهد بني وطاس توقيع كل من اسبانيا و البرتغال على معاهدة تورد سيلاس تم بموجبها تقسيم النفوذ الذي أصبح حجر باديس الفاصل بين مناطق نفوذ كل من الدولتين فاخذت اسبانيا طرابلس الغرب، و المغرب الأدنى ،و المغرب الأوسط، أما البرتغال فسيطرت على المغرب الأقصى و بهذا سيطر كل من الطرفين على أهم المواقع[2] الساحلية إسبانيا التي احتلت مليلية سنة 1497مـ وحجر باديس وفي سنة 1510 ظهرت على الساحة المغربية أسرة قوية اخذت تتوسع بدءا من جنوب المغرب و تمثلت هذه القوة في الأسرة السعدية الشريفة التي اخذت تسيطر على زمام الامور و بذلك أخذ الأشراف السعديون في لعب دورهم على الساحة المغربية و إدراكهم بضرورة التصدي للخطر البرتغالي و الاسباني[3]

و قد عرف المغرب الأقصى في مطلع القرن 16 م، وحدات سياسية صغيرة تحت زعامات قبيلة او دينية أو مجالس محلية مستقلة عن الوطاسيين أوإسميا ما نتج عنه تشجيع للبرتغاليين و الإسبان على غزو و تخريب و احتلال المدن الساحلية بغية نشر المسيحية و استغلال خيرات المغرب [4]

**مما سبق يمكن أن نستنتج أن :**

إن الحوض الغربي للمتوسط خلال القرن16م شهد تطورات سياسية خطيرة أثرت على الوضع في المنطقة و على موازين القوى باختفاء قوى و ظهور أخرى حاولت كل واحدة فرض نفسها في المنطقة .

اما الامبراطورية العثمانية و باعتبارها دولة بحرية ناشئة فقد كانت القوة الوحيدة التي يمكن ان ترجع التوازن للمنطقة نظرا لدورها الديني الذي كان يفرض و يلزم عليها حماية الديار الاسلامية و شعوبها من أي خطر محدق بها خاصة بعد ظهور اسبانيا كقوة تزعمت العالم المسيحي والإمبراطورية الرومانية المقدسة حيث تحملت مسؤولية حماية المسيحين بحيث شنت حرب لا هوادة فيها على المسلمين بالاتفاق مع حليفتها البرتغال .

أما فرنسا فقد تضاربت مصالحها مع إسبانيا بحيث لجأت إلى طرف خارجي للإستقواء به في المنطقة على حساب الدول الأوروبية.

وتميز مطلع هذا القرن بوجود قوى تجارية أوروبية اكثر منها عسكرية تحاول المحافظة على مصالحها التجارية و من هاته الدول البندقية التي عمدت الى توسيع اتفاقيات و معاهدات مع الدولة العثمانية من جهة ، و التحالفات السياسية مع الكنيسة الباباوية وإسبانيا من جهة اخرى.3

كانت تحمل مسؤولية حماية المسيحين بحيث شنت حرب لا هوادة فيها على المسلمين بالاتفاق مع حليفتها البرتغال .

و على ضوء هذه التطورات ما هي دوافع الصراع بين الدولة العثمانية و اسبانيا و ما هي مظاهرها ؟

---

[1] حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب و الاندلس ، دار الرشاد ، القاهرة 1992، ص 454.

[2] رأفت الشيخ : المرجع السابق ، ص 290.

[3] عبد الفتاح المقلد الغنيمي : موسوعة المغرب العربي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1994، ج2، ص 114.

[4] ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ، المغرب 1978، ص 198.

## الفصل الثاني : دوافع ومظاهر الصراع العثماني الإسباني في الحوض الغربي للمتوسط خلال القرن 16م ومطلع القرن 17 م

لقد تعددت دوافع الصراع العثماني الاسباني في غرب المتوسط و ساعدها في ذلك التطورات و التحولات السياسية سواء في أوروبا ، أو التي عرفها المغرب الإسلامي و لعل أبرزها ما تعرض له المسلمون في غرناطة منذ سنة 1492، وتركيز المؤرخين الأوربيين على الدوافع الدينية مثلما اكد عليها الإسبان في تلك الفترة و ذلك لكسب تأييد شعبي[1] ، وبهذا دق ناقوس الخطر لدى سلاطين أل عثمان الذين أدركوا حقيقة الخطر الذي يحيط بالعالم الإسلامي لويسقط المغرب الإسلامي في أيدي الصليبيين بعد سقوط الأندلس في أيديهم[2] ،و لهذا عملت الدولة العثمانية على دعم الإخوة بربروس[3] ، و دخول الصراع العثماني الإسباني في معترك حقيقي حاول كل منهما السيطرة على الاخر

### المبحث الأول : دوافع الصراع العثماني الاسباني في الحوض الغربي للمتوسط

#### 1 - الدوافع الدينية والسياسية :

**أ- الدوافع الدينية** : من خلال شن فرديناند وإيزبيلا ما يسمى بحروب الإسترداد ونظرا للخلفية الدينية لملكي قشتالة وارغون فإن قرار مطاردة المسلمين من إسبانيا واللحاق بهم إلى سواحل المغرب الإسلامي إستدعى تدخل العثمانيين بصفةغير رسمية من خلال الاخوة بربروس الذين قادوا حربا لا هوادة فيها مع الإسبان المدعومين بمراسيم بابوية و التي صدرت سنة 1493مـ /1494مـ [4]، تحثهم فيها على مواصلة الحرب الصليبية و إعداد الهجمات الإسبانية و توجيهها، بحيث لعب رجال الدين دورا بارزا معتبرين ان هذه المعركة خاصة بهم[5] ، و لعل خير دليل على ذلك هو ما قام به الكاردينال **إخسمينيس** الذي ساهم في حملات محكام التفتيش و مشاركته الفعلية في توجيه الحملات الإسبانية على المغرب الاسلامي وتحويله للمساجد الى كنائس عند احتلال المرسى الكبير سنة 1505[6] و تنظيمه لمواكب دينية بمباركة ملوك أوروبا و نذكر على سبيل المثال تهنئة المرشد الأعلى للفرسان في رودس بهذا النصر .[7]

أما بالنسبة للدولة العثمانية فقد إعتبرت هذا الإعتداء على المسلمين في الأندلس والمغرب الإسلامي اعتداء عليها لكونها وضعت على عاتقها حمل لواء الخلافة الاسلامية فكان للتعصب الديني و الرغبة في وقف المد الإسلامي في القارة الأوربية منذ اواخر القرن 15 مـ و طوال القرن 16مـ، دافعا للإسبان إلى الزحف على البلاد الإسلامية في المغرب

---

[1] يحي جلال : تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت 1981، ج3، ص 18.

[2] جمال عبد الهادي و محمد مسعود و أخرون : إفريقيا يراد لها ان تموت جوعا ، ط3، دار الوفاء للنشر و التوزيع ، المنصورة ، 1991، ص 23.

[3] الاخوة بربروس : صفة اطلقها الإفرنج الافرنسيون على تلك العائلة التي تزعم افرادها عملية الجهاد في البحر و باربروسا ، هو اسم اطلق على الأخوين عروج و خير الدين. انظر: بسام العسلي : خير الدين بربروس و الجهاد في البحر (1470-1547 ) ، دار النفائس ، بيروت 1980، ص 26.

[4] محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث ، ط1، مكتبة دار الشرق ، بيروت ، 1969، ص . ص ، 16-17.

[5] الحسن بن محمد الوزان : المصدرالسابق ، ج2، ص 31.

[6] FERNAND BRAUDEl : OP-CIT , p 198.

[7] Henri dide grommont : histoir d'alger sous la domination turqus ( 515-1830) , ernest leroux editeur paris , 1987, P 80.

الاسلامي، فلم يكن طموح الإسبان فقط نقل الحرب التي كانت تجري على أراضيهم لعدة سنوات إلى بلاد المغرب الاسلامي بل السعي أيضا إلى أن تصبح هاته البلاد تحت سلطة المسيح [1].

حيث لم يقف نشاط الاسبان في تدعيم الحملات ضد المسلمين بل إتجه عملهم نحو توفير مصادر تمويل الهجمات المسيحية ، لهذا اجتهدوا في تحصيل الجباية المقترنة بالبابوية بعد موافقة هذه الهيئة المسيحية في روما حيث صدر أمر بابوي سنة 1494مـ يطلب من جميع المسيحين أن يدفعوا ضريبة "الكروزاد" [2] لصالح الملوك الكاثوليك الإسبان فقد رد فرديناند الكاثوليكي في عدة مرات بأنه سيكافح من اجل خدمة الإله حيث شهد منتصف القرن الخامس عشر ميلادي بدء العثمانيين فتوحاتهم في أوروبا الشرقية فسيطروا على القسطنطينية سنة1453 مـ لكن الكنيسة الكاثوليكية لم تأبه بما يحدث في القسطنطينية نتيجة الصراع بين الكنيستين [3] لكن بمجرد نقل العثمانيين لفتوحاتهم إلى منطقة البلقان تحركت الكنيسة الكاثوليكية وسعت الى تحريض المسحيين على محاربة المسلمين حيث شهدت مناطق المغرب الاقصى سنة 1456 تدخلا برتغاليا تم فيه إحتلال القصر الصغير و بعدها طنجة سنة 1471مـ ، ليكون بذلك الرد سريعا من قبل المسيحين حيث لم تقتصر الهجمات الإسبانية و البرتغالية على المغرب الاقصى فقط وإنما على بلاد المغرب الإسلامي كافة و بدء مرحلة جديدة في برنامج التوسع الاييبري [4]

**ب- الدوافع السياسية :**

إن سعي كل من الدولة العثمانية و إسبانيا في إقامة امبراطوريات فالأولى تخلصت من منافسيها في المشرق العربي، الدولة الصفوية [5] في معركة جالديران، و المملوكية في معركتي الريدانية و مرج دابق جعلها تسعى الى التوسع غربا ، و الثانية فرغم المشاكل الداخلية والحروب مع جيرانها خاصة سواحل المغرب الإسلامي والسواحل الإيطالية رغبة منها في مراقبة السفن المارة في هذا المجال الحيوي ، فلذلك نجد إسبانيا تركز في تنفيذ مشروعها الاستعماري على الموانئ الاستراتيجية فبدأت باحتلال المرسى الكبير ثم حجر باديس ثم مدينة وهران و هذا كله من أجل تزعم العالم المسيحي و التي لا تتم بدون السيطرة على سواحل المغرب الاسلامي .

فسياسة إسبانيا اتجاه دول المغرب العربي ، لم تكن منظمة لأنها بدلا من التوغل في الداخل ظل الإحتلال الإسباني مرتبطا بتحصين القلاع رغم مدة الإحتلال الطويلة ويتناول أحمد توفيق المدني في كتابه حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا قائلا:" وبهذا فلا

---

[1] حكمت ياسين : الغزو الاسباني في الجزائر في القرن لسادس عشرميلادي ، مجلة الاصالة ، الجزائر 1973، العدد 14-15 ، ص 242.

[2] هي ضريبة منحهاالبابا للزعماء الإسبان و المسيحيين في حربهم ضد المسلمين في الأندلس ثم حربهم ضد غرناطة و لما امتد النفوذ الإسبان في شمال افريقيا تم الابقاء عليها .

[3] كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيل امين فارس و منير البعلبكي، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1968، ص 429.

[4] مبارك بن محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر د.ت ج3، ص 19.

[5] نسبة الى مؤسها اسماعيل الصفوي تبنى الصفويون المذهب الشيعي و يعود أصلهم في الأساس الى صفي الدين اسحاق الاردبلي و هو الجد الخامس لإسماعيل الصفوي و من هذا الاسم اخذت سلالة إسمها . انظر : محمد سهيل طقوش : تاريخ الدولة الصفوية في ايران ( 1501-1736) ، ط1، دار النفائس للطباعة و النشر ، لبنان2009، ص 35.

ريب أن الإسبان كانوا يعتقدون أنهم إن لم يسبقوا الأتراك العثمانيين الذين أصبح خطرهم في البحر عظيما ، و سيسبقونهم إليها و سيكون لهم يومئذ مع الإسبان شأن عظيم، لا في بلاد المغرب فحسب ، بل في إسبانيا ايضا "[1]

**2-الدوافع الاقتصادية والعسكرية :**

**أ- الدوافع الإقتصادية :**

إن حركة الكشوف الجغرافية و إكتشاف العالم الجديد، دفع بإسبانيا الى إقامة إمبراطورية مترامية الأبعاد ، و لذا عملت على السيطرة والإستحواذ على سواحل المغرب الاسلامي و تأمين الإتصال البحري بين السواحل الإسبانية و تأمين التجارة والمدن الإيطالية خاصة صقلية التي كانت تزودهم بالحبوب و القضاء على النشاط البحري للمسلمين ، أما إستهداف المغرب الاسلامي راجع لكونه بوابة رئيسية نحو الامارات الافريقية جنوب الصحراء و اشتهار هاته المنطقة بتصدير بعض السلع الى أوروبا كمملكة سنغاي أو بلاد السود[2]

و بهذا أخذت أسبانيا في الإستيلاء على الموانئ الهامة في المغرب الإسلامي بداية بالمرسى الكبير لكونه أهم الموانئ في المغرب الأوسط ثم حجر باديس بالمغرب الاقصى و مدينة وهران في ماي 1509[3].

و رغم السيطرة الإسبانية على السواحل المغرب الإسلامي إلا أنها بقت محصورة خصوصا في المغرب الاوسط ، بسبب الضغط المفروض عليها من طرف السكان ، وبالتالي فشل مشروعها التوسعي الاستعماري [4].

و سيطرة الاسبان على السواحل و بوجود الإخوة بربروس في عرض البحر المتوسط و بالذات في جزيرة جربة منذ سنة 1505 م ، اخذ النزاع العثماني الإسباني في تطور مستمر و الإنتقال من الصراع غير الرسمي الى صراع معلن .

**ب-الدوافع العسكرية:**

لقد اتجه الاسبان بعد سقوط غرناطة الى سياسة توسيعية تتعلق بانتهاج سياسة استعمارية في افريقيا و تنطلق اولا من المناطق الساحلية ثم التوغل فيما بعد الى الجهات الداخلية حيث احتل الاسبان سواحل المغرب الاسلامي و حاولوا الاستقرار بهذه المناطق . بدءا من المرسى الكبير سنة 1505 و حجر باديس سنة 1508 و وهران سنة 1509 و مدينتي بجاية و طرابلس في سنة 1510[5] ، ، حيث كانت الحالة التي كان يعيشها المسلمون منذ سقوط غرناطة و إهانة المسلمين و مقدساتهم و التطورات السياسية التي كانت جارية في بلاد المغرب الإسلامي عاملا مساعدا للإسبان على إحداث حالة من الرعب و دخول مدن المغرب الإسلامي طوعا أو كرها تحت راية و طاعة الإسبان.

---

[1] احمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا ،( 1492، 1792)، المرجع السابق ، ص 19.

[2] قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية ثم صعدت الى الشمال و أسست حوالي القرن الاول هجري دولة عرفت اطوار القوة و الضعف . انظر : الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 162.

[3] . المصدر نفسه نفسه، ص 23.

[4] المصدر نفسه ، ص31

[5] صالح عباد : المرجع السابق ، ص21.

و هذا راجع إلى رغبة إسبانيا في القضاء على القرصنة في البحر المتوسط [1] و البقاء لمدة أطول على السواحل دون التوغل و تحصين دفاعاتها ضد أي رد فعل من السكان او من البحارة المغاربة و المسلمين لكن بدخول الدولة العثمانية في المنطقة والدفاع عن الثغور المغاربية ركز العثمانيين على إجتثاث النفوذ الإسباني في المغرب الإسلامي وإفشال المشاريع التوسعية الإسبانية في المنطقة ، و مما ساعدهم في مهمتهم حسن إختيار الأتراك لمدن ذات مواقع إستراتيجية سواء كانت بحرية أو برية و التي سيكون لها مع مررو الوقت دور في تحطيم الحملات الصليبية على جدران البلدان المغاربية وحماية المسلمين من التوسع الاسباني [2].

يمكن القول أن الصراع العثماني الإسباني طبعته دوافع عديدة لكن لا يختلف إثنان أن الدافع و الواعز الديني كان من أهم الاسباب التي جعلت كل من الدولتين تدخلان في صراع مرير لقرن كامل عرفت خلاله كلا القوتين عصرهما الذهبي.

## المبحث الثاني : الإحتلال الإسباني لسواحل بلاد المغرب

### 1- المد الإسباني واحتلال سواحل بلاد المغرب:

إن اشتداد الهجمات الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي عرضه للإحتلال المباشر و الخضوع التام للإسبان ، أو عن طريق توقيع اتفاقيات التبعية وجراء حالة التفكك و التضعضع الذي عانى منه بلاد المغرب بدأ يفقد أقاليمه و من مظاهر العدوان الاسباني على سواحل المغرب الاسلامي مايلي :

**أ- الاحتلال الإسباني لسواحل المغرب الوسط :**

- **إحتلال المرسى الكبير:**

في صيف سنة 1505 م [3] و بالتحديد في 29 اوت توجهت حملة إسبانية من مدينة مالقة بقيادة **دون رايموند دي** بحيث وصل الأسطول الى المرسى الكبير، حيث لم تستطيع المقاومة الشعبية من صد الهجوم و استطاع الإسبان احتلال القلعة و التحصن بها، رغم الجهود التي بذلها مرسي بنعلي المجاهد الشاب في إلهاب حماس الناس إلا أنه فشل في مساعيه حيث عقد أهل المدينة إتفاقية تضمن لهم الحياة و الحرية مقابل الإنسحاب من المدينة شرط ان لا يأخذو معهم أي شيء [4].

- **إحتلال وهران:**

جهز الكاردينال الإسباني خمينيس حملته الكبرى ضد مدينة وهران وهدفه منها القضاء على الإسلام في المغرب الإسلامي ، أبحرت الحملة في 16 ماي 1509و وصلت يوم 18 ماي حيث استعد المجاهدون المسلمون للقاء العدو لكن قلة عددهم لم يمكنهم من طرد الإسبان و السبب الحقيقي في سقوط المدينة هي المؤمرات التي تعرض لها أهالي المدينة باتفاق جرى ما بين حاكم المرسى الكبير و الخائنان عيسى العربي و ابن قانص

---

[1] جون. وولف : المرجع السابق ،ص27.

[2] وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب و تقديم : عبد القادر زبايدية ، دارالقصبة للنشر ، الجزائر ، 2006 ، ص38.

[3] محمد العربي الزبيري : مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الكبير ، مطبعة بن بولعيد ، الجزائر 1975 ، ص22.

[4] أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة ،المرجع السابق ، ص98.

حيث فتح الخونة باب المدينة ليتدفق على إثرها الإسبان إلى الداخل و اقترافهم أبشع الجرائم في حق الأهالي حيث قتل معظم الأهالي وأسر الكثير منهم[1].

**رضوخ مدينة الجزائر و مستغانم للاسبان :**

نتيجة للاخبار الأتية من وهران و المرسى الكبير جعل أعيان مدنية الجزائر يخافون من مصير مشابه لما حدث للمدينتين و على إثر هذه المستجدات توجه كبار القوم في مدينة الجزائر سنة 1510 م و على رأسهم سالم التومي متوجها إلى مدينة بجاية التي كانت محتلة من طرف إسبانيا و اتفق الطرفان على عقد سلام بينهما و وفقا لما تضمنته بنود المعاهدة فإن الجزائريين فقدوا الكثير من كرامتهم مقابل بند واحد لصالحهم ينص على ان لا يتعرض الإسبان لمدينة الجزائر و لا يعتدون عنها [2]

و في سنة 1511 مـ تمكن الإسبان من بناء ما يعرف ببرج الفنار او حصن البنيون والذي اصبح يدعى صخرة الجزائر و هكذا دفعت مدينة الجزائر ثمن العدوان الاسباني بحيث اصبحت تتحمل الضيق و المذلة [3]

أما بالحديث عن مدينة مستغانم فقد شابه مصيرها مدينة الجزائر حيث اضطرت الى مواجهة الإسبان بعدما جمعتهما معركة غير متكافئة الفرص، حيث عقدت بين الطرفين المستغانمي و الإسباني إتفاقية تنص على تبعية مدينة مستغانم للإسبان وجلالة الملك وملكة قشتالة مقابل سماح الملكان لسكان مستغانم بحكم انفسهم [4].

**ب- إحتلال الإسبان لطرابلس الغرب:**

في نفس السنة التي قاد فيها نافارو حملة ضد بجاية واصل حملته نحو طرابلس على رأس ثمانية ألاف رجل حيث نسق هذا الهجوم من طرف نائب ملك صقلية حيث رسى الأسطول الجنوي و الإسباني بمالطا [5] قبل توجهه الى طرابلس الغرب، وهذا بغية مرافقة الأسطول مجموعة المالطيين الذين لديهم خبرة في سواحل المغرب الإسلامي ومن هؤلاء الخبراء جوليانو أبيلا[6] و كانت الحملة مكونة من مائة وعشرين سفينة بحرية بين صغيرة و كبيرة و على متنها خمسة عشر ألف جندي إسباني وثلاثة ألاف جندي إيطالي [7].

و حل الاسبان بالمدينة 25 اوت 1510 م و في فترة وجيزة ضربت سواحل طرابلس وأنزلت المدفعية في منطقة سيدي الشعاب و قبل انقضاء اليوم أتم الإسبان احتلال المدينة [8].

---

[1] نور الدين عبد القادر : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني ، كلية الأداب للنشر و التوزيع مطبعة البعث ،قسنطينة 1965، ص19.

[2] عبد القادر علي حلمي : مدينة الجزائر نشأتها وتطورها ما قبل 1830 م ، ط1 ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي ، الجزائر 1972، ص151.

[3] أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ، المرجع السابق ، ص151.

[4] المرجع نفسه ، ص.ص ، 146-147.

[5] إيتوري روسي : ليبيا منط الفتح العربي حتى سنة 1911 ، ترجمة وتقديم ، خليفة محمد ، الدار العربية للكتاب ،ليبيا 1991، ص166.

[6] أحمد بن الحسين النائب الأنصاري : نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان تقديم وتعليق، محمد زينهم ومحمد عرب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، مصر 1994، ص38

[7] إيتوري روسي : المرجع السابق ، ص18 .

[8] محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ، ص149.

ولم ينجح الأهالي في صد هذا العدوان حيث ذكر ابن غليون في كتابه التذكار : " ولم ينج من اهلها إلا من تسور ليلا و انحاز المسلمون الى تاجوراء و جبال غريان ومسلاتة [1]"

**ج -الهجومات الإسبانية على السواحل التونسية :**

**الحملة الإسبانية على جزيرة جربة سنة 1511م**

بعد السيطرة على مدينة بجاية و طرابلس الغرب إتجه بيدرو نافاروا نحو جربة لكن استعداد سكانها [2] جعل مصيرها مغايرا ، لمصير مدن المغرب الاسلامي الأخرى .ما جعل سكان المنطقة ينتفضون و يصممون على طرد الإسبان من مدنهم و هو ما تزامن مع ظهور الإخوة بربروس على سواحل المغرب الإسلامي .

**3- ظهور الاخوة بربروس على الساحة :**

في الوقت الذي سيطر الإسبان على سواحل المغرب الإسلامي ظهرت قوة جديدة على الساحة تقود عمليات التحرير ضد العدوان الإسباني المسيحي ،والتي كان لها دور هام في توازن القوى ما بين بلدان المغرب الإسلامي و الإسبان [3].

**أ- ظهورهم في تونس :**

ظهر الاخوة بربروس رسميا و لاول مرة في تونس مطلع القرن السادس عشر ميلادي و يعود ذلك استيلاء الإخوة على سفينة كانت تحمل خمسمائةجندي و على متنها نائب ملك نابولي [4].

فاستولو عليها و على ركابها وقدموها الى السطان الحفصي الذي فرح بهذا الإنجاز حيث سلمهم جزيرة جربة التي اصبحت مستقرا لهم ، و قد سبق أن ذاع صيت و شهرة الإخوة بربروس من خلال إنقاذهم للألاف الأندلسين الفارين من إسبانيا[5] و بتحويل الإخوة نشاطهم البحري من شرق المتوسط الى السواحل الغربية اصبح وجود خير الدين وعروج خطرا محدقا با الإسبان و هذا ما جعل سكان المنطقة يرون في هؤلاء الإخوة سبيلا في النجاة من المسحيين.

ب/ **في الجزائر :**

إن غياب النظام و ضعف السلطة الزيانية من جهة والإحتلال الإسباني للمدن الجزائرية عجل و فرض ظهور قوة جديدة تقود عمليات التحرير ضد الإحتلال و عليه فوجود الأتراك لم يكن يوجد في الجزائر لولا غزو الإسبان [6].

و يعود اول تعاون بين الجزائريين والعثمانيين بعدما قرر عروج نقل مركزه من حلق الوادي إلى جيجل نظرا لموقعها الإستراتيجي بعدما كان يسيطر عليها الجنويين و الذي استطاع تحريرها من ايديهم و جعلها قاعدة لنشاطه البحري و على اثر ذلك توجه

---

[1] محمد بن خليل غليون الطرابلسي أبي عبد الله : تاريخ طرابلس الغرب ، المصدر السابق ، ص93.

[2] المرجع نفسه ، ص144.

[3] عزيز سامح ألتر : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة ،محمود علي عامر ، ط1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1989، ص118.

[4] يحي بوعزيز : علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ، المرجع السابق ، ص35.

[5] شارل أندري جوليان :تاريخ إفريقيا الشمالية ، تعريب ، محمد مزالي والبشير سلامة الدار التونسية للنشر ، تونس 1979، ج2 ،ض326.

[6] عمورة عمار : موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2002 ، ص88.

عروج إلى مدينة الجزائر الذي كان يحكمها سالم التومي فطلب من أعيان مدينة الجزائر جهز عروج قوة و اتجه بها نحو قلعة البنيون [1].

التي قصفها لمدة عشرون يوما لكنه فشل في مسعاه و أمر بفتحها في وقت لاحق وبهذا النشاط المتصاعد للإخوة بربروس شعرت إسبانيا بالخطر المتزايد و عليه جهزت حملة عسكرية سنة 1516 م للقضاء على عروج و اخوته لكنها فشلت ومنيت بخسارة فادحة ، فكان لذلك الانتصار وقع و صدى في المدن الأخرى المحيطة لمدينةالجزائر حيث سارعو للإعتراف بسيادة عروج و دخولهم تحت إمرته و عليه صار للجزائر شأن عظيم [2].

وبعد فشل الإسبان في هذه الحملة توجه عروج للقضاء على أمير تنس سنة 1517م الذي قضى عليه ، وواصل عروج مسيرته نحو تلمسان وإستطاع الإطاحة بأبو حمو الثالث الذي فر إلى و هران لكن بفعل المساعدة الإسبانية عاد مجددا وتمكنوا من قتل عروج الذي استشهد في ماي 1518م [3] وأمام هذا الوضع القائم فكر خير الدين بربروس في مغادرة الجزائر لكن المساعدة التي وجدها من طرف أهالي مدينة الجزائر جعلته يبقى ، لكن هذه المرة تحت رعاية الدولة العثمانية بعد طلب أهالي الجزائر تبعيتهم إليها وهو الطلب الذي لقي ترحيبا من سليم الأول وبذلك أصر خير الدين على طرد الإسبان من الجزائر حيث توجه سنة 1529 نحو تحرير قلعة البنيون التي بناها الإسبان حيث استطاع خير الدين من مهاجمة الحصن و تمكن من القضاء على من كانو به [4].

**المبحث الثالث : جهود العثمانيين في الحد من الخطر الاسباني في المنطقة**

**1- دور العثمانيين في تحطيم المشروع الاستعماري الاسباني في بلاد المغرب الاسلامي**

بعد أخذ الصراع العثماني الاسباني في الحوض الغربي للمتسوط مسارا و منحى أكثر عدائية و شراسة من ذي قبل و خصوصا على الجبهات الثلاث للمغرب العربي الجزائر ، تونس ، طرابلس الغرب و إسبانيا في حذ ذاتها و لعل أبرز هاته الاحداث في هذه الدول مايلي :

**دور العثمانيين في تحرير الجزائـرمن الإسبان :**

شهدت الجزائر بعد سقوط من البنيون سنة 1529 م هجمات متكررة من طرف الإسبان بغية إعادة السيطرة على المناطق الحيوية في الجزائر ما أثار رد فعل من قبل العثمانيين الذين كانوا في أعلى هرم السلطة في الجزائر في ذلك الوقت و من اهم الحملات الاسبانية على الجزائر خلال هاته الفترة مايلي :

**-محاولة الاسبان السيطرة على مدينة شرشال سنة 1531:**

في سنة 1531 شهدت الجزائر حملة إسبانية على مدينة شرشال حيث شرع أندري دوريا في الإعداد لهذه الحملة منذ سنة 1530 ،حيث اختيرت مدينة شرشال لموقعها

---

[1]

[2] يحي بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الحامعية ، الجزائر 1999، ج2، 258.

[3] المرجع نفسه ، ص190.

[4] DE La primaudaie Elie : documents inédits « lettre écrite d'Alger par un espion Juif» , R.A , T 19 , Alger 1875 .

الاسترتيجي وبغية نجد و تحرير الأسرى المسيحيين الموجودين بها [1] من جهة ، والإنتقام من الأندلسيين المتواجدين بهذه المدينة من جهة أخرى ، و في سنة 1531 تحرك اندري دوريا نحو مدينة شرشال حيث تمكنت القوات الإسبانية من دخول المدينة و تحرير الأسرى النصارى لكن بدون البقاء فيها خوفا من وصول المساعدات العسكرية من الجزائر [2].

**حملة شارلكان على الجزائر سنة 1541:**

في سنة 1535 و بعد إحتلال إسبانيا لتونس أرادت الجزائر العثمانية الرد على هذا الإعتداء ، وفعلا تم ماكان يخشاه شارلكان فقد تلقت الموانئ الإسبانية ضربات في الصميم على يد البحرية الجزائرية بحيث تم الهجوم على مدينة ماهون وجزر البليار و إحتلال جزية مينوركة و عودته محملا بالغنائم [3] و تحت الضغط المتواید على شارلكان من طرف سكان المناطق المدن الساحلية للإسبانيا قام الملك الإسباني بشن حملة ضد الجزائر سنة 1541 حيث كان يرى بأن استدعاء سليمان القانوني لخير الدين سيتيح له الفرصة في السيطرة على مدينة الجزائر [4]

وقد قدر المؤرخين عدد القوات الأوروبية بما فيها الإسبانية حوالي ستة و ثلاثين ألف جندي ، حيث إعتبرت هذه الحملة أعنف هجوم شنه الأوروبيين على مدينة الجزائر، لكن صمود الجزائريين وبدعم العثمانيين وعلى رأسهم حسن أغا وبغياب خير الدين تمكنوا في مجاراة الصليبيين الذين إستطاعو في بادئ الأمر من فرض منطقهم العسكري ، لكن سرعان ماتكبد الإسبان خسائر مادية وبشرية ما انعكس با الإيجاب على الجزائر خاصة والعثمانيين عامة حيث رسخ العثمانيون وجودهم وأصبح الإسبان من حالة هجوم إلى حالة دفاع بحيث اشتدت الصربات الجزائرية على المناطق التي يسيطر عليها الإسبان في الجزائر وكان هدف الإسبان من هذه الحملة شل قوى العثمانيين وقطع مساعداتهم للفرنسيين با الإضافة إلى تخفيف الضغط عن جبهة المجر ، وقد شوهد شارلكان يبكي على فشله في هذه الحملة حيث اقتنع بضرور تركه للسياسة واعتزاله[5]

**حملة حسن اغا وهران سنة 1542م :**

بعد النجاح الذي حققه حسن اغا في صد الهجوم الصليبي على الجزائر جاء دوره في رد الألم بتوجيه حملة سنة 1542 على مدينة وهران التي كانت تشهد وجود الإسباني الصليبي حيث وسعت حملة نحو وهران في شهر جويلية 1542 من اجل تحرير المرسى الكبير حيث وقعت اشتباكات بين الطرفين انتهت بانسحاب القوات الجزائرية و رغم فشل هذه الحملة إلا أن الهجومات لم تتوقف ضد الإسبان في الغرب الجزائري ، بحيث توجه إلى مدينة تلمسان التي كانت تشهد صراعا على العرش [6].

---

[1] Diégo Haédo de : histoire des rois d'Alger , traduit par : DE Grammont H.d , Adolphe Jourdan librairie –éditeur , Alger 1881, p44.

[2] أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا ، المرجع السابق ، ص234.

[3] المرجع نفسه ، ص121.

[4] المرجع نفسه ،ص271.

[5] مارمول كاربخال: المصدر السابق ،ج2، ص313.

[6] سامح ألتر : المرجع السابق ، ص168.

**فشل الإسبان في الإحتفاظ بالسواحل الجزائرية :**

بعد فشل حملة دالكويت على مدينة مستغانم أخذ المد الإسباني يتلاشى سريعا بفضل سياسة الدعم الذي أظهرها حكام الجزائر لحكام تلمسان على التعاون ضد الاسبان اصبح من الضروري ضم تلمسان الى الدولة الجزائرية في عهد صالح رايس الذي عين حاكما للجزائر منذ 1552 و ، فبظهور الدولة السعدية الناشئة في المغرب الاقصى اصبح من اللزوم توسيع نفوذ الدولة الى تلمسان الذي تعرضت للإحتلال من قبل السعديين ، بحيث تضاربت أراء المؤررخين بين طلب اهل تلمسان نجدة الشريف السعدي لتخليصهم من ملكهم الخاضع للإسبان [1] و بين من يقول بأن السعديين أردوا التوسع على حساب الزيانيين لكن الأصح أن صالح رايس إستطاع تخليص أهل تلمسان من الخطر الاسباني و السعدي [2] سنة 1555 توجه صالح رايس نحو مدينة بجاية الذي كانت تتحصن بها حامية اسبانية [3] حيث أمر بتوجيه قوة بحرية موازية للقوة البرية و باشر الجزائريون قصف المواقع الإسبانية و تمكنوا من تحطيمها ما اضطر الحامية الإسبانية إلى الإستسلام [4] حيث استطاع الجزائريون من استعادة بجاية في سبتمبر 1555مـ [5] بعد تخليص بجاية من الإحتلال الإسباني أعاد الجزائريون المحاولة للإستعادة مدينة وهران سنة 1556 [6] لكنها باءت بالفشل.

في سنة 1558مـ أعاد دالكويت الكرة من جديد و أراد إحتلال مستغانم ، حيث اتجه بقوة عسكرية قابلها إستعداد جزائري بقيادة حسن باشا إستطاع الجزائريون خلال هاته الحملة السيطرة على السفن الاسبانية [7]

رغم دخول الإسبان مدينة مزغران بسهولة إلا أن إتحاد قوات قلج علي و حسن باشا إنتهى بهزيمة دالكويت بعدما التقى الجيشان في معركة مصيرية بمدينة مزغران لقي فيها قائد الحملة الإسبانية حتفه[8]حيث انتهت المعركة في 26 اوات 1558 [9] بانتصار الجزائرين و هزيمة القوات الإسبانية حيث قتل دالكويت و أسر إبنه و أبيد معظم الجيش الإسباني [10]

إن خسارة الاسبان للغرب الجزائري ما عدا مدينة وهران المرسى الكبير جعلهم يقتنعون بضرورة الإحتفاظ بهذين المركزين المهمين حيث حرص الجزائريون في كل مرة على اعادة المحاولة من حين إلى أخر إسترجاع مذينة وهران فقد واصل خير الدين محاولاته للاسترجاع مينة وهران حيث فرض عليها الحصار و على المرسى

---

[1] Haédo: op.cit, P89.

[2] أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ، المرجع السابق ، ص343.

[3] DE La primaudaie Elie : documents inédits « lettre de l'ingénieur Libarno à sa majesté Bougie, 19janvier 1543, R.A, T21 ,Alger 1877, P.P,267-268.

[4] توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة ، المرجع السابق ، ص347.

[5] محمد خير فارس : المرجع السابق، ص41.

[6] يحي بوعزيز : علاقات الجزائر الخارجية ، المرجع السابق ، ص50.

[7]Henri DE Grammont : .op .cit ,p88.

[8] مارمول : المصدر السابق ، ص336.

[9] عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق ، ص91.

[10] محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص45.

الكبير سنة 1563 م إلا أن مقاومة الحامية الإسبانية و الدعم الذي قدمه أندري درويا للحامية[1] حالت دون إنتصار الجزائريين.

**هجمات حسن الفينزيانوا على السواحل الإسبانية :**

لم تكن هذه الهجمات هي الاولى من نوعها ففي عهد خير الدين تم توجيه ضربات الى السواحل الإسبانية خصوصا سنة1538 و 1543 وفي عهد حسن الفينيزيانو توالت الهجمات العثمانية تحت قيادة البحرية الجزائرية خصوصا هجوم سنة 1578 م على مدينة و جزيرة وأليكونت حيث أسر العديد من الاشخاص بالاضافة الى السيطرة على عدة سفن [2] مم جعل الملاحة في هذ الحوض أمرا خطيرا [3]

**مخطط احتلال مدينة الجزائر سنة 1601:**

بعد وفاة فليب الثاني تولى فليب الثالث العرش في اسبانيا سنة 1598 ، شهدت مدنية الجزائر مخططا للاسقاط بها من طرف الإسبان حيث إستغل الإسبان إنشغال القوات الجزائرية بجمع الضرائب و عدد الجميد القليل في ميناء الجزائر الذي كان يحوي ألفي جندي و الذي تم جمع في جزيرة مايورقة و في 28 اوت 1601 تحرك الأسطول باتجاه مدينة الجزائر يتكون من سبعين سفينة حيث وصلت الحملة الى السواحل الجزائرية ، لكن الظروف الطبيعية افشلت هاته الحملة با الإضافة إلى زعماء المناطق في منطقة القبائل لم يسمحو لهم با النزول في ميناء أزفون[4] .

**ب- المحاولات العثمانية لتحرير تونس:** عرفت تونس خلال القرن 16 م ومطلع القرن 17 م تطورات ميدانية هامة جعلتها مسرحا للعديد من الأحداث و المعارك التي دارت ين العثمانيين والإسبان و من أهم هاته الأحداث خلال هاته الفترة :

**حملة شارلكان على تونس سنة 1535 م و فرض السيطرة الاسبانية :**

بعد فشل كل المحاولات الإسبانية للسيطرة على الجزائر اخذ شارلكان في استغلال الفرصة و التوجه إلى تونس قصد ضرب أي محاولات عثمانية لتوحيد المغرب الإسلامي تحت رايتها [5] و خاصة بعد أن حقق خير الدين إنتصارات على الإسبان وتمكنه من ضم تونس سنة 1534 م ،و كل هذا دفع شارلكان الى إستعادة تونس لما تمتلكه من موقع استراتيجي يطل على المواقع الاسبانية بصقلية [6] ،ونابولي ما جعل بقائها في يد العثمانيين تهديدا للإمبراطورية الإسبانية في المنطقة و من أسباب هذه الحملة إستنجاد مولاي الحسن بالإسبان بحيث أورد السلطان الحفصي خطابه الى شارلكان يستعطفه مقابل إعادة ملكه و القضاء على بربروس و قد كان الظرف مناسبا نظرا للأحوال و الأوضاع الإقليمية في تلك الفترة حيث كان يسود الصلح بين أل

---

[1] المرجع نفسه ، ص46.

[2] عبد القادر فكاير : الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وأثاره (1792-1505) ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر د.ت ، ص185.

[3] Fernand Braudel : les Espagnoles , op.cit , p251.

[4] عبد القادر فكاير : المرجع السابق ، ص 187.

[5] أحمد ياغي : المرجع السابق ، ص120.

[6] محمد خير فارس : المرجع السابق، ص34.

الهابسبورغ و فرنسا [1] كما أن شارلكان إستغل فرصة إنشغال الدولة العثمانية في حربها ضد الدولة الصفوية [2].

قام شارلكان بتنظيم حملة صليبية في مدينة برشلونة ، حيث تمكن من جمع أسطول ضخم يتالف من أربعمائة قطعة بحرية من مختلف الأنواع ، بحيث انطلقت الحملة الاسبانية في ماي 1535م مؤلفة من عناصر إسبانية ، إيطالية ، ألمانية ، برتغالية مالطية ، و قدرت القوات بأربعة وعشرين الف جندي[3] و يذهب مارمول في وصفه إستعدادات شارلكان على تونس بقوله : " و قد اعطى الإمبراطور أوامره سرا بان تعد الحملة ، في موانئ إسبانيا، وجنوة و نابولي ، و صقلية "

و يؤكد مارمول بذلك على ضخامة الإستعدادات الإسبانية و قوة و مدى أهمية تونس بالنسبة للإسبان أما الرد من جانب العثمانيين و من خيرالدين بالتحديد لما علم بهذهالحملة طلب المساعدة من السطان العثماني لكن السلطان كان منشغلا بحروبه في أسيا [4] بعد علم خيرالدين بالحملة و أمام إنشغال السلطان العثماني راح يجهز نفسه لصد هذه الحملة لكن نظرا لضخامة القوات الإسبانية ، لم يستطع خير الدين من رد الهجوم وعلى حسب مارمول فإن الحملة الإسبانية على تونس كانت ضخمة لأن شارلكان أراد من خلال الحملة شن حملة صليبية حقيقية [5]

رغم جهود العثمانيين إلا أنهم فشلوا في الإختفاظ بتونس بعد سنة من تحريرها ، لذا فقد العثمانيين منطقة حيوية وإستراتيجية في صراعهم مع إسبانيا الكاثوليكية حيث استطاع الإسبان السيطرة على حلق الوادي ثم الإنقضاض على عاصمة الحفصيين تونس حيث ارتكب الإسبان فضائع في حق الأهالي[6].

**حملة دون جوان على تونس سنة1573:**

بعد وفاة شارلكان خلفه إبنه فليب الثاني الذي أوكل إلى أخيه **دون جوان** قيادة حملة اتجاه تونس بعد سيطرة العثمانيين على المدينة سنة 1569م وطردهم للسلطان الحفصي الذي لجأ إلى إسبانيا لطلب المساعد ، حيث اشترط عليه فليب الثاني اقتسام عرش تونس و هو ما رفضه السلطان الذي لجأ الى صقلية سنة 1572 م و بقي فيها الى أن توفي ، أما أخيه محمد بن الحسن فقبل بعرض الإسبان[7].

خرج دون جوان في 07 اكتوبر ليقود حملة بحرية للإحتلال تونس تتكون من 138 سفينة و 13 ألف جندي إيطالي و 09 آلاف جندي إسباني و 05 الاف جندي ألماني و خمسمائة فارس وقدرت قوات الحملة بسبعة وعشرون ألف جندي وخمسمائة فارس[8].

أمام حجم هذه القوة التي وصلت إلى حلق الوادي تمكنت القوات المسيحية من السيطرة على المدينة بالكامل و طرد الحامية العثمانية الموجودة بها و الذي قدر عددها بألفي جندي ما جعلها عاجزة عن الدفاع عن الأهالي حيث إستطاع الإسبان وحلفائهم من

---

[1] جون . وولف : المرجع السابق ، ص 47.
[2] محمد فريد بك : المرجع السابق ،ص232.
[3] جون .وولف : المرجع السابق ، ص47.
[4] بتصرف : مارمول كاربخال : المصدر السابق ، ج3 ،ص33.
[5] **Ernest merceier** : op.cit , p36.
[6] .جون .وولف : المرجع السابق، ص66.
[7] شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص108.
[8] صالح عباد : المرجع السابق ، ص95.

مطاردة الحامية إلى غاية مدينة الحمامات حيث عاثوا فسادا بعد دخولهم مدينة تونس في 11 اكتوبر 1573م بعد ان هجرها أهلها فقام دون جوان بتنصيب محمد الحفصي ملكا على تونس ، كما قام أيضا بتحصين قلعة حلق الوادي وأنشا قلعة الباستيون ، حيث كان يطمع دون جوان في إنشاء مملكة له بتونس، وهو ما لقي تشجيعا من الكنيسة في روما [1].

**الفتح العثماني لتونس سنة 1574:**

لم يستطع الإسبان بقيادة دون جوان المحافظة على تونس اكثر من ثمانية اشهر حيث إستطاع العثمانيين من استرجاعها [2] بعد فقدانها سنة 1573 م حيث بدأت الإستعدادات العثمانية و بطلبها من ولاياتها العثمانية التابعة لها في المنطقة من الاستعداد لمعركة تحرير تونس [3]

و على حسب المصادر فإن الحملة العثمانية كانت تتألف من 250 سفينة حربية مدعومة برجال القبائل التونسية [4] و بدعم من حاكم طرابلس مصطفى باشا شن كل من القلج علي و سنان باشا في 17 جويلية هجوما على تونس بعدما اكتملت صفوف القوات العثمانية حيث أحاطوا بها إحاطة السوارمن كل جهاتها حيث حاول الاسبان الدفاع عن المدينة و مواجهة القوات الإسلامية إلا أنهم فشلوا ما اضطر الإسبان إلى الانسحاب و ترك المدينة و توجهوا إلى **الباستيون** للتحصن به و تمكنت القوات الإسلامية من دخول **تونس** ، أما بالنسبة لحلق الوادي فقد تولى الهجوم كل من احمد عراب أمير الامراء ب**الجزائر** سابقا ، وحاصروا القلعة و بدأوا بقصفها في يوم 21 جويلية ما أدى إلى تهديم أجزاء من أسوار القلعة ،و بعد حصار دام شهر كامل تمكن القوات الإسلامية ليلة 22 و 23 اوت ، من دخول القلعة و قتل معظم من كانوا فيها من الجنود [5] واستطاع سنان باشا من السيطرة أيضا على حصن الباستيون.

و بسقوط حصن الباستيون سقطت الدولة الحفصية و الهيمنة الإسبانية على تونس وأصبحت ايالة عثمانية و عين سنان باشا على رأسها حيدر باشا حاكما و كلفه بوضع نظام عثماني مشابه لما هو كائن باجزائر و قبل مغادرته لتونس أمر سنان باشا تهديم قلعة حلق الوادي و حصن الباستيون حتى لا يتمكن الإسبان من تهديد تونس و المغرب الإسلامي .

**العثمانيين في تونس بعد سنة 1574:**

كان سقوط تونس في يد العثمانيين ضربة موجعة لإسبانيا المسيحية حيث توقع الجميع رد فعل اسباني قوي ، لكن شخصية فليب الثاني التي تختلف عن شخصية والده شارلكان ، ذلك ان فيليب الثاني لم يكن ملكا قد مارس قيادة الجيش فط و لم يظهر في ساحة المعركة ، بل كان ملكا إداريا بالإضافة الى الضائقة المالية التي عانت منها إسبانيا و المشاكل الثورية في ايطاليا و المشاكل السياسة مع انجلترا وفرنسا ، لكن ضم البرتغال سنة 1580 عوضه عن تونس و بتوفر كل هذه الأسباب انصرف الملك

---

[1] سامح ألتر : المرجع السابق ، ص244.

[2] **Ernest merceier** : op.cit , p115.

[3] سامح ألتر المرجع السابق ، ص 246.

[4] **Ernest merceier** : op.cit , p116.

[5] بسام العسلي : الجزائر والحملات الصليبية ، (1547-1791) ، ط3 ، دار النفائس ، بيروت 1986، ص101.

الاسباني من حوض البحر المتوسط و شمال افريقيا رغبة في وضع حد للصراع مع العثمانيين .[1]

و قد كان نجاح العثمانيين في تونس تعويضا لهم عن هزيمتهم في ليبانت 1571م كما كان بداية لتراجع القوة الاسبانية و تجربتها في البحر المتوسط فقد استطاعت الدولة العثمانية قطع يد الاسبان في تونس [2].

لقد اتفقت الدولة العثمانية و اسبانيا على وضع حد للصراع بينهما و تم عقد هدنة سنة 1577 م و تم تجديدها عدة مرات حتى عام 1593 م.

و على إثر هذا فان العثمانيين قد ثبتوا أقدامهم في تونس و خلصوا سكانها من تهديد لطالما كان يؤرقهم حيث تجمع المصادر الاسلامية أن الأهالي التونسيين كانوا في كل مرة يرحبون بالعثمانيين المسلمين ضد الإسبان المسيحيين و قد تولدت لديهم القناعة خاصة بعد حملة شارلكان على تونس سنة 1535 م، حيث ظلت تونس تتأرجح بين الإسبان تارة ، و العثمانيين تارة أخرى إلاأن خضعت نهائيا للعثمانيين سنة 1574 الذين تفطنوا الى ضرورة تدمير التحصينات الإسبانية بشكل كامل خاصة حلق الوادي الذي أمر بتدميرها سنان باشا مثلما فعل ذلك خير الدين بقلعة البنيون .

**جـ ـ التدخل العثماني في طرابلس الغرب :**

يمكن القول أن طرابلس الغرب قد أصبحت بعد 1530 م ساحة للصراع العثماني الإسباني بحيث عرفت هذه المدينة تطورات و أحداث بارزة غيرت في كثير من الاحيان المشهد العام للصراع و من أهم هذه التطورات مايلي :

**تسليم شارلكان مدنية طرابلس فرسان القديس يوحنا :**

بعد طرد **سليمان القانوني** لفرسان القديس يوحنا أو فرسان مالطة [3] لجأ المرشد الأكبر للفرسان إلى **شارلكان** يطلب منه منحهم جزيرة مالطة و قد أبدى الإمبراطورترحيبا بهذا الطلب لكن مقابل شروط تفرض على المنظمة ، حيث اشترط **شارلكان** أن تتحمل المنظمة مسؤولية الدفاع عن طرابلس الغرب أيضا [4] و بعد شد وجذب بين في الطرفين تم توقيع الإتفاق في 24 مارس 1530 م و الذي بموجبه تم تسليم مدينة طرابلس الغرب لفرسان القديس يوحنا [5] استقرت منظمة فرسان مالطة بطرابلس الغرب منذ سنة 1530 م وعملت على تحصينها حيث كان هدف فرسان المنظمة من هذه التحصينات جعل طرابلس الغرب مقرا دفاعيا لهم [6] واستقر الحال بهم إلى غاية 1551م.

**التواجد العثماني في مدينة تاجوراء و اثره على طرابلس الغرب :**

---

[1] محمد خير فارس :المرجع السابق ، ص51.

[2] DE Grammont:op.cit, p117.

[3] فرقة من أشد فرق المسحيين عداء للمسلمين أثناء الإحتلال الصليبي للقدس ، لجأت هذه الفرقة إلى مدينة عكا بعد سيطرة المسلمين على مدينة القدس بعد معركة حطين ، حيث انتقلت إلى جزيرة قبرص ومنها إلى رودس نشأت هذه المنظمة من أجل تقديم الخدمات الصحية للصليبيين في الأراضي المقدسة ومع مرور الزمن أصبح أعضائه فرسان محاربين با الإضافة إلى هذا فقد كان أعضاء المنظمة يملكون أملاكا عريضة في أوروبا. أنظر :أحمد بن الحسين الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، مراجعة لغوية وتقريظ ، الشيخ فالح بن محمد الظاهري المهنوي ، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا د.ت،ص40 .

[4] إيتوري روسي : المرجع السابق ،ص50.

[5] المرجع نفسه ، ص53.

[6] محمود علي عامر ومحمد خير فارس : المرجع السابق ، ص155.

في سنة 1531 قاد **خير الدين بربروس** حملة على طرابلس الغرب لكنها فشلت نتيجة تمكن الفرسان من رد الهجوم ، لكن خير الدين لم يعد خالي الوفاض و تمكن من السيطرة على مدينة **تاجوراء** ، حيث تمكن من طرد بعض من العرب المتعاونين بحيث أصبح الوجود العثماني في المدينة خطرا على وجود فرسان المنظمة وعين العثمانيين **مردا أغا** قائدا جديدا [1] في سنة 1537 م الذي قام بتحصين مدينة **تاجوراء**[2] حيث سعى مراد أغا إلى تقريب مواطني المدينة كما بنى مدرسة و جامعا كبيرا حيث أعطى طابعا عثمانيا للمدينة [3].

**تحرير العثمانيين لطرابلس الغرب من يد الاسبان سنة 1551م**

كان رد الخلافة العثمانية على إحتلال الإسبان لمدينة المهدية سريعا خاصة بعدما أخطر درغوث باشا السلطان سليمان القانوني بالخطر الإسباني المحدق و خطر فرسان

القديس يوحنا لذلك قرر السلطان العثماني إرسال حملة عسكرية لإسترجاع طرابلس الغرب حيث ظهرت قوة بحرية عثمانية امام السواحل الإيطالية في شهر اوت 1555م [4]، حيث هاجمت جزيرة مالطا و قدر الاسطول العثماني بمائة و خمسين سفينة[5] أسندت القيادة إلى سنان باشا القائد العام للأسطول العثماني يسانده فيها درغوث رايس و صالح بك حاكم رودس و في 04 اوت وصلت الحملة الى مدينة طرابلس حيث حاصرها العثمانيين لمدة 10 ايام ، حيث اصبح سقوط المدينة مسالة وقت فقط[6].

إن الحصار اثر على معنويات الجنود المسيحيين ، و بعد وساطة السفير الفرنسي دارموات الذي استطاع اقناع سنان باشا بالسماح لفرسان المنظمة أن يغادروا طرابلس و هو ما تردد فيه كثيرا الأميرال العثماني حيث سمح لهم في الأخير با المغادرة و اخذ بعض الجنود أرقاء [7]، و بهذا فتحت طربلس ابوابها للعثمانيين في 4 اوت 1551م حيث إستطاع العثمانيين تطبيق إستراتيجية الحصارالبري و البحري ، علما أن هذه الحملة كانت في فصل الصيف سنة 1551م .

**نكبة الإسبان في جزيرة جربة 1560م :**

بعد تحالف إسبانيا و فرنسا سنة 1559م تم توحيد الصف المسيحي ، حيث قرروا القيام بحملة ضد طرابلس الغرب على العموم وعلى شخصية درغوث باشا بالخصوص [8] تم تجهيز حملة ضخمة في ديسمبر 1559م للإحتلال مدينة طربلس لكن الحملة توجهت بعد ذلك الى مدينة جربة حيث غير الأوربيون نهجهم بسبب علمهم باستعداد درغوث باشا للحملة لكن هذه الاخبار كانت مجرد تمويه و كان هدف درغوث إنتظار وصول الأسطول العثماني الذي إنطلق من مدينة إسطنبول و وصل إلى سواحل طربلس خلال 20 يوم ، حيث واجه الأسطول العثماني الأسطول المسيحي في جزيرة جربة

---

[1] إيتوري روسي : المرجع السابق ،ص63.
[2] شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص130.
[3] إيتوري روسي : المرجع السابق، ص64.
[4] المرجع نفسه ، ص66.
[5] أحمد بك الأنصاري : المنهل العذب ، المصدر السابق ، ص189.
[6] جون . وولف : المرجع السابق ، ص 68.
[7] جون . وولف : المرجع السابق ، ص68.
[8] المرجع نفسه : ص.ص،73- 74 .

فدارت معركة بحرية بين الأسطولين إنتهت بنكسة الأوربيين [1] في جزيرة جربة و تم القضاء على الحامية الإسبانية التي كانت متواجدة في الجزيرة .

**محاولات الاسبان و فرسان مالطا من استرجاع طربلس** :

قام الإسبان و فرسان مالطا بمحاولات عديدة لاسترجاع المدينة و قد وجه فرسان مالطا حملة عسكرية الى مدينة طرابلس في سنة 1552 لكنها فشلت كما تدخلت المنظمة ايضا في شؤون طرابلس سنة 1589م بالإضافة إلى تعرض المدينة الى حملات عسكرية سنوات 1639م ، 1642م ، [2]و على اثر هذا فقد الاسبان احدى قواعده الهامة في المنطقة عد طرد العثمانيين لهم و بفرسان القديس يوحنا منها سنة 1551م ، و فشلت كل من المساعي و الجهود الإسبانية في إستعادة طرابلس من العثمانيين.

**2-الدعم العثماني للمورسكيين في إسبانيا :**

لم يسعى العثمانيون فقط لإنقاض الأندلسيين من الإسبان فقط بل عملوعلى إسترداد الأندلس أيضا و يمكن القول أن موقف الدولة العثمانية كان للمساعدة و الإسترداد ويمكن تلخيص هذا الموقف فيمايلي :

**مساهمة العثمانيين في دعم الثوار الموسكيين سنة 1568م ضد اسبانيا :**

عملت الدولة العثمانية عبر إيالاتها في المغرب الاسلامي على العمل الجاد على إستعادة الأندلس بعدأن وطدت الدولة العثمانية أقدامها في الجزائر التي كان لها دور كبير في ثورة المورسكيين التي قامت سنة 1568 م و لم يتردد مسلموالاندلس في طلب الإستعاثة من الدولةالعثمانية بعدما أصدرت الحكومة الاسبانية سنة 1567 م مرسوما يزيد من إضطهاد المسلمين في الأندلس حيث إتصل المورسيكيين بالعلج علي الذي كان منشغلا في تطهير أجزاء المغرب الإسلامي حيث شرحوا له الوضعية التي يعيشونها و طلبوا مساعدتهم و قد اضطر العلج علي الى نصرة اخوانه المسلمين [3] كما اتفق مع مسلمي الأندلس على وقت إندلاع الثورة حيث كان إنشغال الحكومة الإسبانية بمشاكلها الداخلية و الخارجية قد وفر الفرصة للثورة ضد الإسبان [4] حيث وفر القلج علي الأسلحة و الرجال من الجزائر و إيصالها الى مناطق متفق عليها على الساحل الإسباني إلا أن سوء تصرف احد رجالات الثورة كشف أمر المفاجئة و ضاعت فرصة المسلمين في الإنقضاض على القوات الإسبانية [5].

و إستمر علج علي في دعم مسلمي الأندلس الذين إستمروا بثورتهم حتى عام 1570م بحيث تمكنت إسبانيا من القضاء عليها [6].

**محاكم التفتيش في اسبانيا سنة 1609م:**

---

[1] **Ernest merceier** : op.cit , p98.

[2] إيتوري روسي : المرجع السابق ، ص81.

[3] Haédo:op.cit , p139.

[4] أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ، المرجع السابق ، ص392

[5] علي محمد الصلابي : المرجع السابق ، ص237.

[6] أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة ، المرجع السابق ، ص.ص ،394 -395.

لم يكن رد العثمانيين هذه المرة مثل سابقها فقد اكتفى العثمانيون بنقل المورسكيين المطرودين من إسبانيا نحو بلاد المغرب و الى تركيا حاليا هذا الطرد كان بسبب إجتماع مجلس الدولة في إسبانيا سنة 1609م الذي جاء في بيانه أن إسبانيا معرضة لخطر غزوها من مراكش و قد أقيمت الأدلة و البراهين على خيانة المتنصرين في هذا الصدد و قرر تنفيذ الخطة في خريف العام المذكور[1] حيث طرد الاسبان المورسكيين الذي نزلوا بكل من تلمسان و تونس و مدن المغرب الأقصى و يقدر المؤرخين عدد المنفيين حتى اواخر سنة 1609 بما يقارب 150 ألف نسمة دون أن ننسى الذين حوكموا و قتلوا [2]

أما الذين بقوا على الأراضي الإسبانية أصبحو يؤكدون أمام القضاء ، يؤكدون عدم إنتمائهم لتلك الأقليات مقدمين وثائق تسمح لهم بالبقاء في إسبانيا.

و مما سبق نستنتج أن المغرب الإسلامي كان مسرحا لأحداث هامة بين العثمانيين و الإسبان حيث اراد كل واحد منهما بسط نفوذه و إعلاء كلمته في المنطقة.

**الفصل الثالث : إنعكاسات الصراع على الدولتين في المنطقة**

إن التطورات التي حصلت في منطقة الحوض الغربي للمتوسط في القرن 16 م ومطلع القرن 17 م ألقت بضلالها على كل من إسبانيا والدولة العثمانية وعلى المنطقة برمتها ومن إنعكاسات الصراع على الدولتينفي المنطقة ما يلي :

**المبحث الأول : الدولة العثمانية**

**أ -النفوذ العثماني في بلاد المغرب:**

لقد تمكنت الدولة العثمانية من بسط سيادتها على أقاليم المغرب الإسلامي خلال القرن السادس عشرميلادي وكان لرجال البحر من المجاهدين دور فعال في مد النفوذ العثماني حتى حدود المغرب الأقصى الذي لم يدخل ضمن هذه الكتلة بسب ظروف خاصة سنعرضها في حينها:

**أ- النفوذ العثماني في الجزائر :**

لقد رأينا كيف عرض السلطان العثماني على خير الدين بربا روس لقب بكلربك بعد ما أبلى بلاء حسنا في التخلص من الاسبان و توحيد البلاد و إعلان الدولة فأصبح واليا من قبلها على الجزائر التي ظلت ولاية عثمانية ، حيث تمتعت بقدر كبير من الاستقلال و قد خلف خير الدين في ولاية الجزائر قادة عظام من بينهم حسن اغا وابنه خير الدين الذي تمكن من تحصين البلاد و ضم تلمسان و مستغانم و مهاجمة الإسبان في وهران

[1] علي مظهر : محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها ، المكتبة العلمية ، مصر 1947، ص87.

[2] أنطونيو ا دومينيقروا وأخرون : تاريخ مسلمي الأندلس المورسكيون " حياة ... ومأساة أقلية" ، ترجمة عبد العال صالح طه ، تقديم وتنقيح محمد محي الدين الأصفر ، ط1 ، دار الأشراق للطباعة والنشر ، قطر 1988، ص301.

[1]ا لتي بقيت أخر معقل للإسبان في الجزائر العثمانية فقد الحق العثمانيين في الجزائر خسائر كبيرة با الإسبان جعلتهم في نهاية الأمر في موقف الدفاع لا الهجوم و لاسيما بعد فشل حملتهم على الجزائر في سنة 1541 م التي قادها الإمبراطور شارلكان بنفسه حيث استطاع العثمانيين في الجزائر من النجاح في تحرير العديد من المواقع التي كان يحتلها الإسبان و في مقدمتها صخرة البنيون سنة 1529م و عنابة سنة 1540م و بجاية سنة 1555م[2].

كما استمرالصراع مع إمارة بني عباس و الثورات الداخلية كتمرد حاكم كوكو[3]و الصراع بين الإنكشارية و رياس البحر حيث أصبح الانكشارية يتطلعون الى الحكم و السيطرة بمختلف الوسائل .

رغم المشاكل الداخلية للجزائر في القرن 16 م و استمرار الوجود الاسباني في وهران إلا أن العثمانيين إستطاعوا بناء الدولة لها جهاز حكمها المستقل و التابع إسميا للإمبراطورية العثمانية الإسلامية و لها جيش منظم و أسطولها القوي و الأهم من ذلك هو توفر الإرادة لدى العثمانيين في إبراز الجزائر كقوة كبيرة لها دور اساسي و حاسم في قيادة الجهاد في سبيل الله و مجابهة الحملات الصليبية الشرسة حيث استطاع العثمانيين في تجسيد الطموحات الشعب الجزائري و اهدافه حيث لقي ذوي اللحية الحمراء دعما نيرا من أبناء الجزائر [4].

**جهود العثمانيين في تحرير وهران: .**

تواصلت محاولة العثمانيين في تحرير وهران من يد الإسبان ففي عهد محمد بكداش باي الجزائر سنة 1686 م اقدم مصطفى إبن يوسف بوشلاغم بايلك الغرب [5] على تحرير مدينة وهران لكنه لم يصل إلى مبتغاه ، لكن في سنة 1707 م تضافرت الجهود حيث قام المسلمون بمحاصرة برج العيون و إستطاعوا فتحه ثم إتجهو نحو مدينة وهران و تحولوا الى المرسى الكبير إقتحموها يوم 16 افريل 1708 م و على إثر ذلك تم نقل عاصمة البايلك من معسكر الى وهران ، لكن الإسبان عادوا الى المدينة بعد 24 سنة و نجحوا في إسترجاع المدينة بعد محاولات فاشلة لهم ، لينتهي الوجود الإسباني في وهران في 17 ديسمبر 1791 م بعد الجلاء الاسباني عنها [6].

ليستطيع بذلك العثمانيين من توحيد أجزاء كبيرة من البلاد الجزائرية التي كانت تابعة للمماليك و الإمارات الحفصية و الزيانية و للأمراء الشيوخ و القبائل المنشقين عنهم و ربطها بمدينة الجزائر التي اتخذوها حاضرة للبلاد كلها ، حيث غدت معظم اجزاء الجزائر تحت شمولات حكمهم ، كما تمكنوا من التصدي الى حملات السعديين .

كما نجح العثمانيين في إرساء حكمهم في الجزائر و الشروع في إحداث تنظيمات إدارية فيها و تقسيمات إقليمية جديدة بحيث أصبح الغرب الجزائري بايلكية قاعدته

---

[1] احمد زكريا الشلف : العرب و الدولة العثمانية من الخضوع الى المواجهة (1516م-1916م) ، ط1، مصر العربية للنشر و التوزيع، القاهرة 2002، ص 131.

[2] احمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق ، ص 347.

[3] صالح عباد : المرجع السابق ، ص 112.

[4] بسام العسلي : الجزائر و الحملات الصليبية ، المرجع السابق ، ص 21.

[5] اسماعيل بن عودة المزاري : طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا ، اواخر القرن 19 ، تخميم و دراسة ، يحي بوعزيز ،دار الغرب الاسلامي ، بيروت د.ت ، ص.ص ، 275-276.

[6] المرجع نفسه، ص.ص ، 290-291.

الاولى مازونة ثم معسكر و مستغانم قبل ان يستقر الأمر في وهران بعد فتحها الأول و الثاني في القرن الثاني عشر و اصبح الشرق الجزائري بايلكيه ايضا قاعدته مدينة قسنطينة [1].

كما غدى القطاع الأوسط من البلاد بايلكية التيطري و قاعدته مدينة المدية في قسمه الجنوبي و من دار السلطان في قسمه الشمالي و قد أنشأ حكام الجزائر العثمانيين مؤسسات عسكرية و إدارية ساعدتهم على التحكم في زمام الأمور في الجزائر كمؤسسة ديوان الجند و طائفة الرياس و المؤسسة القضائية ، حيث نجح العثمانيين أيضا في إيجاد سند لهم في مهمتهم من بين أهالي الجزائر ،إلا أن هذه الإيالة شهدت في عهد البشوات بعد سنة 1587 صراعات داخلية حول من يتولى الحكم [2]. فاصبح حكام الجزائر كل مهتم بمصلحته و بجمع الأموال بمختلف الوسائل قبل رحيله .

**ب- تثبيت العثمانيين أنفسهم في تونس :**

انطوت فترة حكم الدولة الحفصية في تونس والتي بلغت ثلاثة قرون و نصف على يد القائد العثماني سنان باشا عام 1573 م الذي استطاع وبمساعدة الجيش العثماني في الجزائر يقوده علج علي من اقتحام الحصون الاسبانية و القضاء عليها والقبض على الأمير الحفصي و ألحقوا تونس في بداية الأمر بإيالة الجزائر ثم تركوا بها حامية عسكرية من الإنكشارية يترأس كل مئة جندي منها ضابط يسمى الداي بينما عهد جباية المال لشخص يحمل لقب الباي و فور رحيل سنان باشا بجيشه و أسطوله إلى إسطنبول، ، حيث عين أحد الدايات على حكم تونس و اضطرت الحكومة العثمانية على قبول الأمر الواقع بعد 1590[3] .

و قد اعقبت فترة حكم الدايات فترة عرفت بفترة حكم البايات عندما تمكن أحد البايات و هو مراد باي من تولي الحكم عام 1673 الذي اعترفت به الدولة العثمانية و منحته لقب الباشا و نجح في تأسيس الأسرة الحاكمة حملت إسمه و هي الأسرة المرادية التي ظلت تتوارث الحكم في تونس حتى عام 1702 م ، و في عهدها شهدت تونس الوان من النهضة و العمران غير أن الأسرة شهدت تنازع أبنائها على السلطة حتى إستنجد احدهم بولاة الجزائر الذين تدخلوا في شؤون تونس فعمت الفوضى و الإضرابات حتى تمكن الحسين بن علي من الإستيلاء على السلطة ليؤسس أسرة جديدة هي الأسرة الحسينية التي ظلت تحكم تونس حتى سنة 1814 [4].

**جـ- طرابلس الغرب إيالة عثمانية :**

منذ أن نجح سنان باشا في إنتزاع طرابلس من فرسان القديس يوحنا خلفاء اسبانيا عام 1551 م ، صارت طرابلس الغرب ولاية عثمانية ، و إن تحطمت فترة الحكم العثماني في طرابلس الغرب بتولي الأسرة القرمانلية حكمها خلال الفترة ( 1711م-1835م) ، و معروف ان الحكم العثماني انحصر في المناطق الساحلية ، ولم يمتد الى داخل ليبيا ، في ظل السيادة الرسمية للدولة العثمانية فقد تركت الدولة شؤون الداخل لزعماء القبائل المحلية مقابل ضريبة سنوية. ففي 1550 أسس محمد الفاس أسرة حاكمة حكمت

[1] مبارك بن محمد الهلالي الميلي : المرجع السابق ، ج3، ص.ص ، 130-131.
[2] المرجع نفسه، ص .ص ،137-138.
[3] محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص 71.
[4] محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق، ص84.

الأقاليم بإسم دولة أولاد محمد بين عامي (1550م -1812م) لم ترحب بالعثمانيين وإستطاعت البقاء طوال هذه الفترة نتيجة لتزايد أهمية فزان بإعتبارها طريقا مهما لتجارة القوافل ، و عندما حاولت الدولة العثمانية ضمها بالقوة حيث شنت عدة حملات تصدى لها حكام من أولاد محمد [1]

و انتهى الأمر بإعتراف الدولة العثمانية بإستقلالهم مقابل ريع سنوي من الذهب و العبيد يرسلونه لولاتها في طرابلس و هكذا يبدو أن سلطة العثمانيين إنحصرت في طرابلس و الساحل بشكل أساسي و كان معظم الولاة الذين أرسلتهم الدولة العثمانية من العسكريين الإنكشارية الذين تزوجوا من طرابلسيات مما نشأعنه طبقة من المولودين ( الكولوغية) و قد تعاقب على حكم طرابلس عدد كبير من الولاة [2].

وهذه الظاهرة إنتشرت لعدة أسباب منها عزلهم نتيجة ضعفهم و عجزهم عن حفظ الأمن وتدخل رؤساء الجند في امور الولاية و قد مهدت هذه الأوضاع المتردية ظهور شخصية أحمد القرمانلي ليتولى الحكم و يؤسس أسرة تتوارث السلطة بطرابلس لحوالي قرن و ربع.

يمكن القول بان طرابلس في عهد العثمانيين احسن حالا من التي كانت عليه في عهد الإسبان و فرسان القديس يوحنا الذين استقروا فيها لمدة تزيد عن 41 سنة .

**1- فشل العثمانيين في ضم المغرب الاقصى :**

إن علاقات المغرب الأقصى مع الدولة العثمانية تكتسي أهمية خاصة باعتبار أن المغرب ظل البلد الوحيد من بلدان المغرب الإسلامي الذي لم يخضع للإمبراطورية العثمانية كما أن المغرب كان يمثل مسرحا للصراع بين المسيحية و الإسلام ، حيث تزايدت أهمية هذه العلاقات بالنظر الى التقارب المذهبي.

**أ- أسباب الفشل :**

استطاعت الدولة العثمانية التوسع على مناطق من المغرب الاقصى اثناء حكم الوطاسيين للمغرب لكن بعد مجيء السعديين وصل تضارب تصادم بين العثمانيين و السعديين لعدة اسباب منها :

- التخوف العثماني من إمكانية قيام تحالف سعدي إسباني فلم يسعى العثمانيين القيام بغزو شامل على المغرب الأقصى و الدخول في مغامرة غير مضمونة النتائج خصوصا مع الوعي العثماني بأن القوى الأوروبية لن تقف صامتة إزاء هذا المشروع الذي يهدد طموحاتها في السيطرة على الموارد الافريقية انطلاقا من السواحل الأطلسية كما أن الاوربيين لا يمكن أن يسمحوا لقوة واحدة السيطرة على المنافذ البحرية [3] و بالتالي السيطرة على الطرق التجارية في أن واحد.

- تؤتر العلاقات بين ولايات الشمال الإفريقي عموما ، و السلطة المركزية العثمانية بسبب الهدنة التي عقدت مع إسبانيا حيث تتجلى معارضتهم في إستمرار تحرشاتهم ضد السفن الإسبانية في البحر الأبيض النمتوسط و هو ما أدى الى تجزئ ولايات الشمال الإفريقي و مع ذلك ظلت الثورات مستمرة وظهور الأطماع السعدية و من بعدها العلوية في التوسع على حساب الأراضي العثمانية بالمغرب الأوسط و استمرت بحيث

[1] ايتوري روسي : المرجع السابق ، ص 238.
[2] المرجع نفسه، ص 319.
[3] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق ، ج8 ، ص 297.

نظم الشريف السعدي حملات وصلت الى حدود تلمسان ، لكن الرد العثماني كان قاسيا بالقضاء على محمد الشيخ السعدي و فصل رأسه عن جسده و إرساله الى إستانبول [1].

- محاولة الشرفاء إحياء مشروع الدولة الموحدية من جديد و احقيتهم بالخلافة لأصولهم التي تعود إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم حيث إعتبر شرفاء المغرب الأقصى ان العثمانيين مغتصبي للخلافة[2].

وبهذا فإن العلاقات بين العثمانيين و المغرب الأقصى تحكم فيها عدة عوامل فالعثمانيين يمتلكون مفاتيح الكعبة بتأييد شريف مكة ويصبح بهذا السلطان العثماني حاميالحرمين الشريفين وراعيا للحجاج المسلمين بالإضافة إلىانتهاج الدولة العثمانية نهج رفع راية الجهاد بعد ضعف المماليك ، حيث اكتسب العثمانيين الزعامة و القيادة و منحهم ذلك تأييد الزعامات المحلية في غالبية البلاد العربية .

و إن كان المغاربة يشتركون مع العثمانيين في الدفاع عن الإسلام و المسلمين إلا أن السلاطين المغاربة إرتكزوا على عنصر النسب الشريف الذي له دلالة تاريخية على شرعية الخلافة فنضرب على سبيل المثال إتخاذ المنصور لقب الخليفة و أمير المؤمنين بعد توليه السلطة مما أثارحفيظة العثمانيين [3].

و رغم الخلاف و الإختلاف الفكري إلا ان هذه العلاقات لم تكن تخلو في العديد من الأحيان نحو الميول إلى التحالف و الصداقة[4] فلا ننسى دعم الدولة العثمانية للمولى عبد الملك بجيش قوامه خمسة ألاف مقاتل للدخول إلى فاس وإستعادته لعرشه ، كما شهد المغرب خلال معركة وادي المخازن دعما عثمانيا مكنها من قلب موازين القوى و أيضا عرض السلطان العثماني زواج منصور من احد بناته غير أن المنصور تردد في جوابه [5]

ان فهم طبيعة العلاقات العثمانية المغربية صعب جدا فمن جهة أراد المغرب التوسع على حساب أراضي المغرب الأوسط والتحالف مع الإسبان على حساب العثمانيين الذين كانو يريدون توحيد رقعتهم السياسية في بلاد المغرب بضم المغرب الأقصى [6] و ضمها الى الدولة العثمانية [7] و من جهة أخرى نجد رسائل التزكية و المباركة من كلا الطرفين مع دعم العثمانيين للمغرب الأقصى في مواضع لم يكن ليحسد عليها .

**المبحث الثاني : إسبانيا**

**1- فشل اسبانيا في الحفاظ على نفوذها في المنطقة:**

شهدت اسبانيا في النصف الثاني من القرن 16م تطورات هامة أثرت على وضعها في منطقة الحوض الغربي للمتوسط حيث جعلها عرضة للتهديد الخارجي للأراضيها في بعض الاحيان لكن هذا الفشل تولد نتيجة عدة أسباب منها :

**أ- قوة واستماتة الحكام العثمانيين :**

---

[1] عبد الهادي تازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم ، مطابع إيديال، الرباط 1988، ص 30.

[2] عبد الفتاح مقلد الغنيمي،: المرجع السابق ، ج8 ، ص300.

[3] إبراهيم حركات : المرجع السابق ، ص44.

[4] عبد الهادي تازي : المرجع السابق ، ص 44.

[5] المرجع نفسه ، ص 46.

[6] محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص52.

[7] عبد الرحمن الجيلالي : المرجع السابق ، ج3، ص 101.

لقد تولى الحكم في الايالات الثلاثة الجزائر ، تونس، طرابلس الغرب ، عدد من القادة الذين كانوا يتميزون بالكفاءة و الحرص على تسيير المحكم للبلاد المغربية سواء على الصعيد الداخلي او على صعيد التحديات الخارجية و يمكن ذكر اهم الشخصيات التي حكمت بلاد المغرب الإسلامي منها :

**خير الدين باشا** : من دون شك أن هذا الإسم يرتبط ببداية التحرير الفعلي لسواحل المغرب الإسلامي من الوجود الإسباني خاصة في الجزائر التي ارتبطت في عهده بالدولة العثمانية حيث إستطاع تصفية الوجود الإسباني من قلعة البنيون كما قاد حملة على تونس سنة 1534 م [1] و قام بتحريرها لكنها عادت للإسبان في السنة الموالية [2] كما ساهم بشن هجمات على السواحل الإسبانية سنة 1538م.

- **درغوث باشا و مراد أغا في طرابلس الغرب** :إستطاع هؤلاء من تخليص طرابلس من الرعب التي كانت تعانيه المدينة في ظل حكم فرسان القديس يوحنا والاسبان عن مدة تزيد عن إثنان و أربعين سنة حيث إستردت المدينة في أيامها كثيرا مما فقدت[3].

**ب- أزمات اسبانيا الداخلية :**

بعد ذهاب الملكة الكاثوليكية إيزابيلا بدأت إسبانيا تشهد مشاكل داخلية منها ثورات بعض الأقاليم حيث اشتغل شارل الخامس في إخمادها منها الثورة التي قامت في بلنسية سنة 1519م و الثورة في قشتالة و أشد الثورات عنفا هي تلك التي شهدتها مقاطعة طليطلة و التي وقعت ما بين (1520م-1525م) ، حيث تمكن الجيش الملكي من هزمهم في شهر فيفري 1521 كما قام بالقبض على زعماء الثورة و الذي تم إعدامهم و استسلمت المدن الثائرة ماعدا طليطلة التي قاومت، و من اهم المشاكل التي عانت منها اسبانيا في أقاليميها داخل أوروبا مايلي :

**حركة الاصلاح الديني :**

لم يكن الإصلاح الديني في الواقع شيئا جديد لدى الكنيسة الكاثوليكية فقد عر فت اثناء العصور الوسطى دعوات كثيرة مماثلة تمت بمبادرات دولية و لكن الظاهرة الجديدة في الإصلاح الديني الذي حدث في بداية العصور الحديثة تكمن في أنه قد تم من خارج الكنيسة و بدون موافقتها و قد أدى إلى كثير من النتائج أهمها انقسام أوروبا الغربية دينيا :إلى الكاثوليكية و البروتستانتية [4] و بذلك تحطمت الوحدة المسيحية التي اثرت عليها الثورة البروتستانتية تأثير بالغا أثار حالة من الإنشقاق الديني في المؤسسة البابوية في النصف الثاني من القرن السادس عشر خاصة قد مثلت القوة الوحيدة في أوروبا طوال العصور الوسطى [5] إذ لا مفر أن تقوم البابوية ببعض الإصلاحات خصوصا بعد النداءات الملحة و المستمرة التي كان يوجهها شارل الخامس امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة للبابا لحل المسائل الدينية التي قسمت المانيا دينيا و سياسيا [6].

**ثورة الأراضي المنخفضة وإستقلال هولندا :**

---

[1] محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص 33.

[2] بتصرف: محمد فريدبك : المرجع السابق ، ص 233.

[3] الطاهر احمد الزاوي : المرجع السابق ، ص 305.

[4] ميلاد أ. المقرحي : تاريخ أوروبا الحديث (1848-1453) ، منشورات جامعة فار يونس ، بتغازي 1996 ،ص113.

[5] المرجع نفسه ، ص.ص ،115-116.

[6] عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق ،ص120.

كانت هذه البلاد ما تزال تسبب المزيد من الهموم و المشاكل ، بعد أن كانت المفضلة لدى شارلكان أصبحت ساحة صراع إلتقت فيها جميع المطامع التي عرفها النصف الثاني من القرن 16م لدرجة أن هذه الأقاليم أصبحت تشكل بدورها قوة لا يستهان بها . فيما مضى كان شارلكان يطارد البدعيين في الأراضي المنخفضة حيث كان السكان بها يهاجمون مؤسسة محكمة التفتيش في اسبانيا التي كانت تطبق هذاالتشريع على مضض[1].

أدت هذه الثورة في النهاية الى ظهور هولندا الحديثة فبعدما تنازل شارل الخامس عن أملاكه الكثيرة الواسعة للإبنه فليب و أخيه فريناند الأول و اصبح هذا الأخير إمبراطور للإمبراطورية الرومانية المقدسة و كانت المجر و بوهيميا من ضمن ممتلكاته اما الممتلكات الأخرى فكانت من نصيب فيليب الثاني ملك اسبانيا (1556م-1598م) و لم يكن فيليب الثاني ملكا على إسبانيا لوحدها بل إستولى سنة 1580 مغلى البرتغال با الوراثة كما إمتد حكمه إلى الأراضي المنخفضة وإمارة برجنديا الحرة ، وكانت كلها ضمن أملاك الإمبراطورية الرومانية المقدسة . كان فيليب الثاني كاثوليكيا متعصبا يساند بقوة الكنيسة الكاثوليكية في روما وأخذ على عاتقه عبئ قيادة الحركة الكاثوليكية المضادة وإعادة مجد المذهب الكاثوليكي ليس فقط في إسبانيا بل في كل أملاكه الاخرى أيضا و هكذا برزت إسبانيا أ كبر مدافع عن الكاثوليكية و ارتبط دفاعها بنمو الأمة الاسبانية ومجد لا نجد له نظير في أوروبا[2].

و كان من بين النتائج التي ترتبت علىالانقسام الديني في أوروبا ظهور تنازعات من أجل العقيدة أحدهما برتستانتية مقرها جنيف و أخرى كاثوليكية مقرها روما، و أدى هذا الصراع إلى تورط عدد كبير من الدول الأوربية في حروب دينية مدمرة من منتصف القرن السادس عشر حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر بحيث كانت الأراضي المنخفضة من بين المناطق التي انفجرت فيها الثورات التي امتزج فيها النضال الديني بالنضال السياسي و الأراضي المنخفضة تشمل على سبع عشر مقاطعة ، اصبحت في القرن الخامس عشر عشر مقاطعات ثم صارت تابعة للتاج الإسباني بزواج الإمبراطور مكسمليان الأول من ماري البرجندية ثم ورثها شارل الخامس ثم ابنه فيليب الثاني و كان أهم هدف واجه حكامها هو توحيد حكومات تلك المقاطعات و لكنهم فشلوا في ذلك نظرا للخلافات بين الشمال و الجنوب (هولندا بلجيكا) من اختلافات سياسية و دينية و عرقية و لغوية قومية فالشمال كان بروتستانتيا و أغلب السكان فيه من الجنس التيوتوني في حين كان الجنوب كاثوليكيا و سكانه ينتمون الى الجنس الكتلي [3]و حينما أصبحت الأراضي المنخفضة تحت حكم فيليب الثاني اخذت فكرة الاتحاد المشترك و ضرورة قيام كيان واحد للأراضي المنخفضة تتبلور في أذهان عدد كبير من المفكرين و تطورت هذه الفكرة الى ثورة تهدف الى التخلص من الحكم الإسباني و أثناء وجوده حاكما للأراضي المنخفضة عمل فيليب على تدبير كل الوسائل للقضاء على المذهب البروتستانتي إعتقاد منه أن توحيد

[1] جان بيرنجيه و اخرون: موسوعة تاريخ اوروبا العام، ترجمة و مراجعة ، وجيه بعيني وأنطوان الهاشم ، ط1، منشورات عويدات ، بيروت 1995، ج2 ، ص 392.

[2] فيشر: المرجع السابق ، ص 199.

[3] ميلاد أ.المقرحي: المرجع السابق ، ص.ص، 118-119.

الدولة لا يتأتى إلا من خلال توحيد الدين، و كان فليب بطبعه سوداوي المزاج ليس له الا هدف هواخماد المدهب البروتستانتي في أوروبا و عند مغادرته للبلاد عين حاكما عليها حيث سلم حكمها للأخته مرغريت الإبنة الغير الشرعية للإمبراطور شارل الخامس لكنها واجهت رياح الثورة [1]

بدأ فليب في مواجهة الثورة بالقمع و الإضطهاد و إدخال محاكم التفتيش ، حيث ارسل الملك الاسباني جيشا يتألف من جنود إسبان وإيطاليين بقيادة الدوق **ألبا** و معه سلطات واسعة، فقام بإعدام 18600 شخص و فر من البلاد ثلاثة أمثال هذا العدد[2].

لكن عزيمة الثوار الصلبة واستمرارهم في المقاومة أضفت في الأخير إلى انتزاع جزء كبير من الأراضي المنخفضة منذ 1565م الى غاية 1579م حيث استطاع الثوار بقيادة وليم أونغ في توحيد سبع ولايات في الشمال وبفضل مساعدة انجلتر و فرنسا خلفه إبنه موريس الذي تمكن من الإحتفاظ بإستقلال الولايات الشمالية التي اصبحت تدعى هولندا و مما ساعد ثوار الاراضي المنخفضة على تحقيق هذا النجاح هو أن إسبانيا رغم قوة جيشها كانت تعيش ازمة اقتصادية شديدة نتج عنها عجزها عن الإنفاق على تلك القوات فكانت كثيرا لا تدفع مرتبات الجنود[3] و ظلت الحروب مستمرة بين الهولنديين و الإسبان الذين كانوا يتحملون أعباء الحروب في الميادين الأوروبية العديدة و لهذا عرضوا على جمهورية هولندا سنة 1609م هدنة مدتها 12 سنة التي تعد إعترفا ضمنيا بإستقلال هولندا و اثر إنقضاء هاته المدة إندلعت الحرب من جديد حتى توقيع معاهدة وستلفانيا سنة 1648[4]

**إنشغال إسبانيا بحروبها في الداخل و الخارج :**

كانت ايطاليا منذ نهاية القرن15م مسرحا للتنافس بين الكثير من الدول الأوروبية من بينها إسبانيا فقد دفعها طموحها إلى خوض سلسلة من الحروب مع فرنسا انطلقت في اواخر القرن 15م إستمرت إلى غاية سنة 1559م التي انتهت بموجبها هذه الحروب و يعود انشغال إسبانيا بالمسألة الايطالية الى سنة 1495م عندما وقع الملكان الكاثوليكيان مع الإمبراطور مكسمليان و البابا حلفا مقدسا لمدة خمسة و عشرون سنة للدفاع عن الدول المسيحية ضدالعثمانيين لكن سرعان ما دخل هذا التحالف في حرب مع الفرنسيين الذين كانوا يحتلون نابولي حيث انتصر عليهم مما دفع فرديناند هذا النجاح الى إيطاليا و تطويق فرنسا و تجريدها من مقاطعة بروتانيا و في سنة 1500م وقع الملكان معاهدة غرناطة تقاسما بموجبها نابولي فسيطر لويس الثاني عشر على المنطقة الشمالية و فرديناند على الجزئ الجنوبي لكن أمر التقسيم لم يسهل تحديده مما ادى إلى تجدد الحرب التي إستمرت لمدة ثلاثة أشهر انتهت بإستسلام الفرنسيين أمام غايبت سنة 1504م[5]

و بعد مرور سنوات عاد الفرنسيون الى إيطاليا و احتلوا كل الأراضي الواقعة شمال نابولي فشعر البابا بوليوس الثاني بالخوف و صمم على طردهم و لما احس لويس الثاني

---

[1] المرجع نفسه ، ص 119.

[2] عبد الحمدي البطريق : المرجع السابق ، ص.ص ، 120-124.

[3] ميلاد أ: المرجع السابق ، ص 126.

[4] المرجع نفسه، ص133.

[5] نور الدين خاطوم: تاريخ النهضة الاوربية ، دار الفكر ، دمشق ، 1968، ص 51

عشر بالمؤامرة دعا الى عزل البابا فقوبلت دعوته بالاستنكار من قبل الدول الأوربية حيث استغل البابا هذا الشعور و كون حلفا مقدسا سمي برابطة كامبرى في سنة 1511 م ضم اسبانيا انكلترا البندقية و سويسرا و طرد الفرنسيين من الأراضي التي استولوا عليها في إيطاليا [1] تواصلت الحرب في عهد شارل الخامس ضد فرنسا حول المسألة الايطالية و ذلك عندما غزاها فرانسو الأول لكنه أسر من القوات الامبراطورية سنة 1525 م و أجبر على توقيع معاهدة مدريد سنة 1526م، خسرت بمقتضاها فرنسا اجزاء كبيرة من حدودها و تنازل الإمبراطور عن ادعائه في ميلانو و جنوة مقابل اطلاق سراحه[2].

و في السنة الموالية قامت القوات الإسبانية في إيطاليا بحركة عصيان بسبب تاخر رواتبهم تسببت في انتشار الفوضى و إعتقال البابا كليمنت السابع ووقوعه في ايدي المتمردين إستغلت فرنسا هذا الوضع و هاجمت بعض حلفاء إسبانيا في الأراضي الواقعة في دوقية ميلانو و حاصرت نابولي .

و في سنة 1555 تجددت الحرب بين البلدين في إيطاليا حيث إستعان هذه المرة البابا بول الرابع بالفرنسيين بسبب تصالح شارل الخامس مع البروتستانت [3] انتهت لصالح فيليب الثاني و لما شهر الجانبان بأن الحرب أنهكتهما وقعت إتصالات بين الدوليتن توجت بعقدها معاهدة كاتوكامبيرس وأهم ما نصت عليه تنازل فرنسا عن إدعاءاتها في ميلانو و نابولي ، و لم يتوقف طموح إسبانيا عند إيطاليا بل استرعاها الإهتمام بجارتها الايبيرية البرتغال فقد تمكنت من ضمها سنة 1580 عندما توفي ملكها دوم هنري و لم يترك بعده وريث للعرش و هكذا أصبح فيليب الثاني ملك البرتغال[4] ففي إطار الصراع الديني الذي شهدته أوروبا كان فيليب الثاني كاثوليكيا وقف نفسه لخدمة الإيمان الكاثوليكي فإلى جانب إصراره على محاربة دعاة الإصلاح الديني في الاقاليم التابعة لنفوذه فقد اجتهد في مناصرة و تدعيم أتباع المذهب الكاثوليكي في كل من انجلترا و فرنسا حيث شهد الأسطول الاسباني المعروف بالأرمادة التي لا تقهر انتكاسة كبيرة عندما قرر فيليب الثاني القيام بحملة لإبعاد الملكة اليزابيث الأولى لينصب بدلها في لندن ملكة إيقوسيا ماريا ميستيورات الكاثوليكية فتعرض الاسطول الى التدمير في بحر الشمال بسبب سوء القيادة و هبوب الرياح القوية الى جانب مفعول القوات الانجليزية و الهولندية و لم تسلم من الدمار سوى خمسين سفينة من مجموع مائة و ثلاثون و ذلك سنة 1588م واستمرالصراع خلال القرن السابع عشر حيث وقعت إسبانيا في حرب مع فرنسا حول منطقة الاراضي المنخفضة حيث تمكنت قوات مازارن التي دفع با الإسبان الى طلب الصلح و بدات المفاوضات في عام 1634م و لم يتوصل الطرفان الى إتفاق حتى سنة 1659 م حيث وقع الطرفان في 07 نوفمبر بتوقيع معاهدة البرانس نصت

[1] Francois guihardin: histoir des guerres d'Italie , trduitde l'talien par georgeon,vaillant,londre ,1738,p.p ,165-166.

[2] pierre daru : histoire de la rupubique de venis , F.Didot , paris , 1821 , T3, P 551.

[3] البطريق: المرجع السابق ، ص 81.

[4] شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص182.

على 124 مادة الى جانب ثمانية مواد سرية [1] التي كانت تشير الى إنتهاء التفوق الاسباني و بداية تفوق الفرنسي

**2- بروز قوى أوروبية منافسة للإسبانيا:**

بعد تحطيم القوة الإسبانية سنة 1588م تراجع دور إسبانيا في المنطقة فلم يعد لها القدرة الكافية على مواجهة التحديات الصعبة التي اصبحت تجاهها في أوروبا خصوصا مع تنافي القوة الفرنسية و الإنجليزية حيث أخذت الدولتين في فرض منطقها على إسبانيا و من أمثلة التفوق الانجليزي و الفرنسي مايلي :

- **أ- بريطانيا:**

سنة 1455 إندلعت حرب أهلية في بريطانيا سميت بحرب الوردتن و هي صراع بين أسرة بروك و أسرة لانكستر كان شعار الأولى الوردة البيضاء و شعار الثانية الوردة الحمراء و في نهاية هذه الحرب إعتلى هنري تيودور من اسره لانكستر الحكم بإسم هنري الرابع و قد إستطاع بتأييد من الشعب أن يصل الى السلطة و يؤسس أسرة تيودور التي حكمت الى سنة 1603 و هي فترة كانت مليئة بالمصاعب السياسية والدينية فقد عاصرت هذه الأسرة عصر الإصلاح الديني في أوروبا لكن شهدت إنجلترا في عهد إليزابيث أزهى فترات التاريخ البريطاني [2].

فقد اطلق على النصف الثاني القرن السادس عشر عصر إليزابيث ففي هذا العصر تمت القومية الانجليزية و أصبح لبريطانيا السيادة البحرية وتوطد بشكل نهائي نظما الكنيسة الانجليكانية الذي تستند الى قانون السيادة العليا و قانون المذهب الواحد ، كما شهد هذا العصر هزيمة أسطول الأرمادة الإسبانية في سنة 1588 م و بذلك تخلصت إنجلترا من أكبر خطر كان يتهددها في مطلع القرن السابع عشر اصبحت انجلترا تحت حكم أسرة سيتورات سنة 1603[3] حيث شهدت إضطرابات داخلية لكنها لم تمنعها من منافسة إسبانيا التي أخذت تتراجع إضافة إلى ذلك أصبحت إنجلترا تتطلع أكثر نحو السيطرة على المنافذ البحرية و السير في نفس الطريق الذي كانت تسير فيه كل من إسبانيا و فرنسا .

**ب-فرنسا :**

وقعت فرنسا فرنسا فريسة الفوضى والتدهورالثقافي والسياسي بسبب وصاية ماري ديمدتشي على لويس الثالث عشر حيث تولى الحكم و هو صغير السن فتولت الوصاية عليه و كان سبب الفوضى والإضطرابات هي أنها كانت إسبانية في الوقت الذي كانت فيه إسبانيا عدوة الشعب الفرنسي مع أنها كانت تعمل على إقامة علاقات طيبة بين فرنسا و اسبانيا و هذا ما أصاب البلاد بالإضطراب والفوضى و إنقسام الرأي العام لكن بظهور

[1] Hanri vast : les grands traites du regne de louis 14 , alphose picard , aris , 1893,t.1,p.p,93-175.

[2] عبد العزيز سليمان نوار: محمود محمد جمال الدين ، المرجع السابق ، ص 205.

[3] اشرف صالح محمد سيد: المرجع السابق ، ص 170.

شخصية ريشيليوا على الساحة الذي إستطاع تحقيق النمو و التقدم للأمة الفرنسية[1] و لذا كان يرى أن أطماع الهابسبورغ في اوروبا تقف حائلا دون تحقيق الهدف و لهذا كان يهدف الى الحد من سلطاتهم و لكنه كان يعلم أنه لا يستطيع القيام بهذا الدور ما دامت الاحوال الداخلية غير مستقرة ، و لهذا فإنه كان يعمل على إصلاح الجبهة الداخلية في البلاد فيستطيع تحقيق هدفه هذا و من هنا رأى سياسة الخارجية كانت مرتبطة بالسياسة الداخلية و كان يرغب ريشليوفي بناء جيش قوي يدخل من خلاله في مضمار الإستعمار الخارجي [2] و لكن هذا يتطلب وجود أسطول قوي و هذا ما لم يكن متوفرا ، حيث بدأ في انشاء بحرية قادرة على الدفاع عن المصالح الفرنسية و حرمان الإسبان من إستعمال البحر الأبيض كطريق لجنودهم و تمويناتهم و أيضا الدفاع عن التجارة الفرنسية من البحارة الجزائريين الذين نشطوا أعمالهم البحرية خلال القرن 17م[3].

إستطاع ريشليوا من تحقيق أمنيته والحصول على أسطول بحري قوي يمكنه إستخدامه في السلم والحرب ، ومقابل هذه القوة بدأت إسبانيا في الصعف خصوصا بعد تولي فيليب الرابع (1621-1665) ، حيث لم يتمكن الملك الإسباني من القضاء على الثورات الداخلية وإختلال ميزانية الدولة في ذلك الحين مما أصابها با الفقر [4].

وهنا حاول ريشليو إتخاذ هذه الأزمات الإسبانية ذريعة وباية للتفوق على إسبانيا إذا بدأ في إتباع سياسة إثارة الحرب الداخلية أي إثارة الإضطرابات داخل إسبانيا في المناطق التابعة لها وإستنفاذ قواها العسكرية حيث عقد ريشليوا معاهدة مع جمهورية البندقية حتى تستطيع إبعادها عن إسبانيا . كما قام ريشليوا با التوجه إلى الأراضي المنخفضة ومساعدة هولندا ضد إسبانيا وكان يرمي من وراء هذا فرض السيطرة الفرنسية على الأراضي المنخفضة ويتقاسم بلجيكا مع هولندا ولكنه لم يستطع ذلك [5].

كما شاركت فرنسا في حرب الثلاثين عاما [6] ، من أجل القضاء على إسبانيا من خلال دعمها للدنمارك با المال والرجال لكن إنتهاء الحرب لم يقوض نفوذ الهابسبورغ ، حيث أعلن الحرب على هذه الأسرة بفرعيها وتمكن من رفع فرنسا إلى مصاف الدول الكبرى وإصعاف إسبانيا كقوة سياسية وبحرية في ذلك الوقت وإستطاع التطلع إلى المناطق التي كانت تعتبرها إسبانيا محرمة على الدول الأوروبية حيث وقع معاهدة نابولون مع الجزائر سنة 1628م[7] مما يعد تحديا للإسبانيا في المنطقة.

---

[1] عبد العزيز سليمان: المرجع السابق ، ص 163

[2] ميلاد أ. المقرحي: المرجع السابق ، ص 186

[3] جون و ولف : المرجع السابق ، ص 281.

[4] عبد العزيز سليمان نوار : المرجع السابق ، ص167.

[5] ميلاد أ . المقرحي : المرجع السابق ، 168.

[6] جان بيرنجيه : المرجع السابق ،ج2، ص405.

[7] جون .وولف : المرجع السابق 281.

**الخاتمة :**

إن موضوع الصراع العثماني والإسباني عموما يكتسي أهمية بالغة ، خاصة إذا تعلق الأمر بغرب المتوسط في القرن السادس عشر الميلادي و مطلع القرن السابع عشر الميلادي و التي تعتبر من المواضيع الهامة و الممتعة ، و في نفس الوقت مازال هذا الموضوع يدرس باستمرار، للأنه موضوع ينبع بالحياة كما له تأثير وانعكاسات على حياة الشعوب و علاقات دول ضفتي حوض البحر المتوسط إلى اليوم.

إن تلك الحقبة التاريخية التي حدد إطارها الزماني في القرن السادس عشر ميلادي و مطلع القرن السابع عشر كانت هامة لكلا الطرفين سواء للإمبراطورية الاسبانية أو الدولة العثمانية و لأن تلك المرحلة من الصراع هي التي صنعت من بلدان المغرب الإسلامي ثلاث ايالات عثمانية تحولت من إماارت ضعيفة إلى قوى أصبح لها مكانتها في حوض البحر المتوسط تفق في وجه المد المسيحي الصليبي المتعصب بعدما كانت خاضعة له و بعد إتمام هذه الدراسة توصلنا إلى مايلي :

-إن الوضع الدولي الذي ساد منطقة حوض البحر المتوسط خلال القرن العاشر الهجري / السادس ميلادي و مطلع القرن الحاد عشر ميلادي / السابع عشرميلادي كان سببا في حدوث تصادم و احتكاك بين بين الطرفين حتمية تاريخية لا مفر منها فرضتها ظروف تاريخية ، من أهمها تغير في موازين القوى لصالح الدول المسيحية بقيادة اسبانيا .

-إن الوضع العام الذي كانت تمر به كل من دول منطقة غرب المتوسط و حالة التمزق خصوصا في المغرب الإسلامي عرضها لنفس المصير وهو الإحتلال الإسباني و بالتالي التدخل العثماني كطرف فاعل و مؤثر في المنطقة.

- لقد احتلت اسبانيا اغلب موانئ المغرب الإسلامي بدءا من المغرب الأقصى و إنتهاءا بطرابلس الغرب حيث إتبعت سياسة الإحتلال المحدود لان هدفها ليس التوغل و إنما السيطرة على المناطق الساحلية الإستراتيجية لمنع أي حركة للإسترداد الأندلس من طرف العثمانيين و مسلمي المغرب الإسلامي .

-إن النزعة التي كان تغذيها النزعة الدينية بالدرجة الأولى، خاصة من الطرف الأسباني المتعصب ، لكن ذلك لا ينفي وجود دوافع أخرى.

-حاولت دويلات المغرب الإسلامي التصدي للهجمات الإسبانية ، لكنها لم تكن قادرة على المجابهة ورد العدوان والذود عن أقاليمها و سيادتها .

-كانت دول المغرب الإسلامي مسرحا لأغلب مظاهرالصراع العثماني الاسباني فلولا ظهورالإسبان في المغرب الإسلامي ما كان هناك سبب للوجود العثماني في المنطقة .

- كان للايالات العثمانية الثلاث تأثيرا على مراحل الصراع العثماني الإسباني فطالما ساعدت هذه الإيالات الباب العالي في معاركه ضد إسبانيا وخاصة في شرق المتوسط و غربه .

-ان التدخل العثماني في الحوض الغربي المتوسط افشل المشروع الاستعماري الإسباني و أشعل فتيل حرب بين أغنى دولتين في تلك الفترة

-ابرز الصراع معطيات جديدة في المنطقة بأفول نجم دول وتهاوي قوتها فإسبانيا تراجع نفوذها في المنطقة و العثمانيين رغم نفوذهم إلا أنه بعد القرن 17م كانت سلطتها إسميا فبعدما إحتاجت دول المغرب الإسلامي لنجدة الدولة العثمانية أصبح العثمانيون في حاجة إلى قوة هذه الايالات في مواجهة الخطر الصليبي المتزايد .

-و في الأخير يمكن القول انه لا يمكن بأي حال من الأحوال إصدار حكم من ألت إليه الكلمة الأخيرة لان كلا الدولتين عاشت ظروف متشابهة أثرت على وجودهما في المنطقة .

-بعدما كانت منطقة المغرب الإسلامي مشروع استعماري اسباني أصبحت قوى بحرية هامة في حوض المستوط بعدما ارتبط اغلب بلدانها بالدولة العثمانية و ارتبطت بشخصيات عثمانية تزعمت الصراع من حدود الضفة الجنوبية إلى ضفتة الشمالية و في عمق العالم المسيحي .

-إن الصراع العثماني الاسباني لا يمكن فصله عن إطاره التاريخي حيث يعتبر إمتدادا للصراع الإسلامي المسيحي في الفترة الحديثة و جزء هام منها.

1)- المصادر والمراجع:

## أ- المصادر باللغة العربية :


1- الأنصاري أحمد بن الحسين النائب : نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان تقديم وتعليق، محمد زينهم ومحمد عرب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، مصر 1994.
2- الأنصاري أحمد بن الحسين : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، مراجعة لغوية وتقريظ ، الشيخ فالح بن محمد الظاهري المهنوي ، منشورات مكتبة الفرجاني، ليبيا د.ت.
3- الجزائري الحسن محمد بن عبد القادر : تحفة الزائر في مأثر الامير عبد القادر و أخبار الجزائر ، المطبعة التجارية ،ج1، الإسكندرية 1903.
4- الوزان الحسن بن محمد: وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي و اخرون ،ط2 ، دار المغرب الاسلامي ،ج2، بيروت ، 1983 .
5- المزاري اسماعيل بن عودة : طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا ، اواخر القرن 19 ، تخميم و دراسة ، يحي بوعزيز ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت د.ت .
6- الطرابلسي محمد بن خليل غليون ابو عبد الله : تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طربلس و ما كان بها من الاخبار ، نشر و تصحيح و تعليق ، الطاهر احمد الزاوي ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1349هـ .
7- السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب ،ج5 ،المغرب 1955 .
8- الفاسي علي ابن ابي زرع : الذخائر السنية في تاريخ الدولة المرينية ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط 1992،.
9- الخطيب لسان الدين محمد :الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط1، مطبعة الموسوعات ، مصر ، 1998.
10- أبي زكريا يحي : بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد ، مطبعة بيير بونتانا الشرقية ن،الجزائر 1903.

11- ابن الأحمر : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم و تحقيق و تعليق ، هاني سلامة ،ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع ، مصر ، 2001.
12- بن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، مراجعة ، سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ،ج2،ج6 ، بيروت 2000.
13- باربارو نيقولو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، يوميات الحصار العثماني 1453 م ، دراسة و ترجمة و تعليق حاتم عبد الرحمن الطحاوي ، ط 1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، مصر 2002 .
14 ياقوت - أبي عبد الله الحموي شهاب الدين : معجم البلدان ، ط1، دار صادر، بيروت د. ت .
15- كاربخال مارمول : افريقيا ، ترجمة محمد حجي و اخرون ، دار النشر المعرفة ،ج2 ، ج3 ، الرباط، 1988 ، ج2 ، ج3، ص 109.


## ب- المصادر باللغة الأجنبية :


prescott. William :histoir of the regio of ferdinand and Isabella , the cataolic, tenth edition, new yourk , 1849.

1- daru pierre : histoire de la rupubique de venis , F.Didot , paris , 1821.
2- dide grommont Henri : histoir d'alger sous la domination turqus ( 515-1830) , ernest leroux editeur paris , 1987.

3- -[1] Francois guihardin: histoir des guerres d'Italie , trduitde l'talien par georgeon,vaillant,londre ,1738.
4- Haédo Diégo de : histoire des rois d'Alger , traduit par : DE Grammont H.d , Adolphe Jourdan librairie –éditeur , Alger 1881.
5- vast Hanri : les grands traites du regne de louis 14 , alphose picard, t.1 , paris , 1893.

## أ- المراجع باللغة العربية :

1- البطريق عبد الحميد و نوار عبد العزيز : التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية ظن بيروت ، 1973.
2- الجمل شوقي عطا الله : المغرب العربي الكبير ، ط1، مكتبة الأنقولو المصرية ، القاهرة ، 1977.
3- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد : تاريخ الجزائر العام ، ج3، دار الثقافة ، بيروت 1983
4- الهاشمي عبد المنعم : الخلافة العثمانية ، ط1، دار ابن حزم ، بيروت 2004.
5- الزبيري محمد العربي : مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الكبير ، مطبعة بن بولعيد ، الجزائر 1975.
6- الزاوي أحمد : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ط3، دارالمدار الاسلامي ، بيروت 2004.
7- الميلي مبارك بن محمد الهلالي : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مكتبة النهضة الجزائرية ،ج3، الجزائر د.ت.
8- المحامي محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق، احسان حقي ، ط6، دار النفائس ، بيروت 1988.
9- المقرحي ميلاد. أ : تاريخ أوروبا الحديث (1848-1453) ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي 1996 ،ص113.
10- المدني أحمد توفيق : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا ( 1492م-1792) الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر د.ت.
11- المدني أحمد توفيق : هذه هي الجزائر، ط1، عالم المعرفة ، الجزائر2010.
12- العروسي المطوي محمد: الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت1982.
13- العسلي بسام : خير الدين بربروس و الجهاد في البحر (1547-1470 ) ، دار النفائس ، بيروت 1980.
14- العسلي بسام : الجزائر والحملات الصليبية ، (1791-1547) ، ط3 ، دار النفائس ، بيروت 1986.
15- السرجاني راغب : قصة الاندلس من الفتح الى السقوط ، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع و الترجمة، ج1، القاهرة 2010 .
16- الصلابي علي محمد : صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي ، دار الامام للطبع و النشر و التوزيع الإسلامي ، ج1 ، الإسكندرية 2003.
17- الشيخ رأفت: تاريخ العرب الحديث ،عين للدراسات و البحوث الانسانية و الإجتماعية ، مصر ، 1994.
18- الشريف محمد الهادي : تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الإستقلال ، تعريب ،محمد الشاوش ومحمد عجينة ، ط3، دارسراس للنشر ، تونس 1993.

19- الشلق احمد زكريا: العرب و الدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة (1516م-1916م) ، ط1، مصر العربية للنشر و التوزيع، القاهرة 2002.
20- الخادم سمير علي : الشرق الاسلامي و الغرب المسيحي ، ط1، مؤسسة دار الريحاني للطباعة و النشر ، بيروت، 1989.
21- عبد الحكيم الذنون: افاق غرناطة ، ط1، دار المعرفة، دمشق 1988.
22- أرسلان شكيب :الحلل السندسية في الاخبار و الأثار الاندلسية ، كلمات عربية للتربية و النشر ، القاهرة 2011 .
23- أزوتونا يلماز : تاريخ الدولة العثمانية ، تحقيق محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتموين، ج1 ، تركيا ،1988.
24- إينالجيك خليل تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار ، ترجمة : محمد . م. الأرناؤوط، ط1، دار المدار الإسلامي ، بيروت 2002.
25- عزيز سامح ألتر : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة ،محمود علي عامر ، ط1 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1989.
26- بول ستانلي لين : قصة العرب في اسبانيا، ترجمة ،علي الجارم بك، كلمات عربية للترجمة و النشر ، القاهرة 2012 .
27- مانتران روبير: تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، ط1 ، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع ، القاهرة 1992.
28- بوعياد محمود: جوانب من الحياة في المغرب الاوسط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 198.
29- برولكلمان كارل : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيل أمين فارس و منير البعلبكي، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1968.
30- برنشفك روبار: تاريخ افريقية في العهد الحفصي ، ترجمة ، حمادي الساحلي ، ط1، دار الغرب الاسلامي ،ج1 ، بيروت 1988.
31- بوعزيز يحي : علاقات الجزائر الخارجية مع دول و مماليك أوروبا ( 1500-1830)، ديوان المبطبوعات الجامعية الجزائرية ، الجزائر 1980.
32- بوعزيز يحي : الموجز في تاريخ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ،ج2، الجزائر 1999.
33- بينز تورمان : الإمبراطورية البيزنطية ، تعريب : حسين مؤنس ، محمود يوسف زايد ، ط 1 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر ، القاهرة 1950.
34- [1] جوليان شارل أندري :تاريخ إفريقيا الشمالية ، تعريب ، محمد مزالي والبشير سلامة ، الدار التونسية للنشر ،ج2 ، تونس 1979.
35- جلال يحي : تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، ج3، بيروت 1981.
36- دومينيقروا أنطونيو ا وأخرون : تاريخ مسلمي الأندلس المورسكيون " حياة ... ومأساة أقلية" ، ترجمة ،عبد العال صالح طه ، تقديم وتنقيح محمد محي الدين الأصفر ، ط1 ، دار الأشراق للطباعة والنشر ، قطر 1988.
37- وولف جون. ب : الجزائر و أوروبا ( 1500-1830) ،ترجمة و تعليق ، أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 .
38- زيدان جرجي: فتح الاندلس ، تقديم و دراسة ، محمود علي مكي ، دار الهلال ، الرياض 1983.
39- حركات ابراهيم : المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد الحديثة ، المغرب 1978 .
40- حرب محمد : العثمانيون في التاريخ و الحضارة ، المركز المصري للدراسات العثمانية و بحوث العالم التركي ، القاهرة 1994.

41- حاطوم نور الدين: تاريخ النهضة الأوربية ، دار الفكر ، دمشق 1968.
42- حلمي علي عبد القادر: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها ما قبل 1830 م ، ط1 ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي ، الجزائر 1972.
43- طرفان إبراهيم علي : دولة القوط الغربيين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1958.
44- طقوش محمد سهيل : تاريخ الدولة الصفوية في إيران ( 1736-1501) ، ط1، دار النفائس للطباعة و النشر ، لبنان 2009.
45- ياغي إسماعيل أحمد :الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث ،ط2، مكتبة العبيكان ،السعودية ، 1988.
46- كورلز بول: العثمانيون في اوروبا ، ترجمة : عبد الرحمن الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1993.
47- كمالي اسماعيل : سكان طربلس الغرب ، تعريب و تعليق حسن الهادي بن يوسف ، مركزجهاد الليبين للدراسات التاريخية طرابلس 1997.
48- كولان ج. س : الأندلس ، ترجمة ، إبراهيم خورشيد و أخرون ، ط1، دارالكتاب اللبناني ، بيروت ، دارالكتاب المصري ، القاهرة 1980 .
49- لودر دوروثي : إسبانيا شعبها وأرضها ، ترجمة ، طارق فودة ، مراجعة و تقديم ، عز الدين فريد مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1965.
50- مانتران روبير: تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ، ط1 ، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع ، القاهرة 1992 .
51- مؤنس حسين : معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، دار الرشاد ، القاهرة 1992.
52- مصطفى احمد عبد الرحيم: أصول التاريخ العثماني ، ط 3 ، دار الشروق ، القاهرة 2003 .
53- مجهول: مذكرة خير الدين بربروس ، ترجمة : محمد دراج ، شركة الاصالة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2010.
54- مظهر علي : محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها ، المكتبة العلمية ، مصر 1947.
55- نوار عبد العزيز سليمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة د.ت.
56- سبنسر وليم: الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب و تقديم : عبد القادر زبايدية ، دارالقصبة للنشر ، الجزائر 2006 .
57- سليمان احمد عبد الكريم : تيمور بك و دولة المماليك الجراكسة ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، دمشق 1985.
58- عبد القادر نور الدين: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني ، كلية الأداب للنشر و التوزيع مطبعة البعث ،قسنطينة 1965.
59- عبد الهادي جمال و آخرون : تاريخ الدولة العثمانية للبراعم المسلمة ، دار الوفاء ، الإسكندرية 1995.
60- عبد الهادي جمال و مسعود محمد و أخرون : إفريقيا يراد لها ان تموت جوعا ، ط3، دار الوفاء للنشر و التوزيع ، المنصورة ، 1991.
61- عودة محمد عبد الله و آخرون : مختصر التاريخ الإسلامي ، الأهلية للنشر و التوزيع ، عمان 1989.
62- عمار عمورة : موجز في تاريخ الجزائر ، ط1 ، دار الريحانة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2002.
63- فارس محمد خير : تاريخ الجزائر الحديث ، ط1، مكتبة دار الشرق ، بيروت 1969.
64- فهمي السلام عبد العزيز : السلطان محمد الفاتح ، ط 5 ، دار القلم ، دمشق 1993.

65- فكاير عبد القادر : الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وأثاره (1505-1792) ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر د.ت.
66- صالح محمد سيد أشرف: أصول التاريخ الأوربي الحديث ، ط1، دار واتا للنشر و التوزيع ، قطر 2009 .
67- روسي إيتوري : ليبيا منط الفتح العربي حتى سنة 1911 ، ترجمة وتقديم ، خليفة محمد ، الدار العربية للكتاب ،ليبيا 1991.
68- شاكر محمود : التاريخ الإسلامي ، ط4 ، المكتب الإسلامي ، ج 8 ، بيروت 2000 .
69- تازي عبد الهادي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم ، مطابع إيديال ، ج8، الرباط 1988.

**ب - المراجع باللغة الأجنبية :**

1- Ernest merceier : histoir de l'afrique septentionale , T3, ernest le romse editeur ,paris , 1891, P 45.

**2- المجلات :**

أ- المجلات با اللغة العربية :

1- بوعزيز يحي : المراحل و الأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية ( 1236-1554) ، مجلة الاصالة ، مطبعة البعث ، العدد 26، الجزائر ، جويلية . أوت 1975.
2- حكمت ياسين : الغزو الاسباني في الجزائر في القرن السادس عشرميلادي ، مجلة الاصالة ، العدد 14-15 ، الجزائر 1973.

**ب- المجلات با اللغة الأجنبية :**

1- [1] braudel Fernand: les espagnoles et lafrique du nord de ( 1492-1577) in R.A , alger 1928,t 19 , p217
2- DE La primaudaie Elie : documents inédits « lettre écrite d'Alger par un espion Juif» , R.A , T 19 , Alger 1875 .
3- [1] DE La primaudaie Elie : documents inédits « lettre de l'ingénieur Libarno à sa majesté Bougie, 19janvier 1543, R.A, T21 ,Alger 1877.
4- الموسوعات با اللغة العربية :
1- الغنيمي عبد الفتاح المقلد : موسوعة المغرب العربي ، مكتبة مدبولي ،ج2 ، القاهرة 1994.
2- بيرنجيه جان و اخرون: موسوعة تاريخ اوروبا العام، ترجمة و مراجعة ، وجيه بعيني وأنطوان الهاشم ، ط1، منشورات عويدات ، ج2، بيروت 1995.
3- نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الاندلس تقديم ، احمد بن سودة ، دار الامير للثقافة و العلوم، ج2 ، بيروت ، 1995.